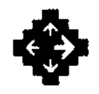
طرق متقاطعة



دار شرقيات للنشر والتوزيع

طرق متقاطعة

سيد البحراوي

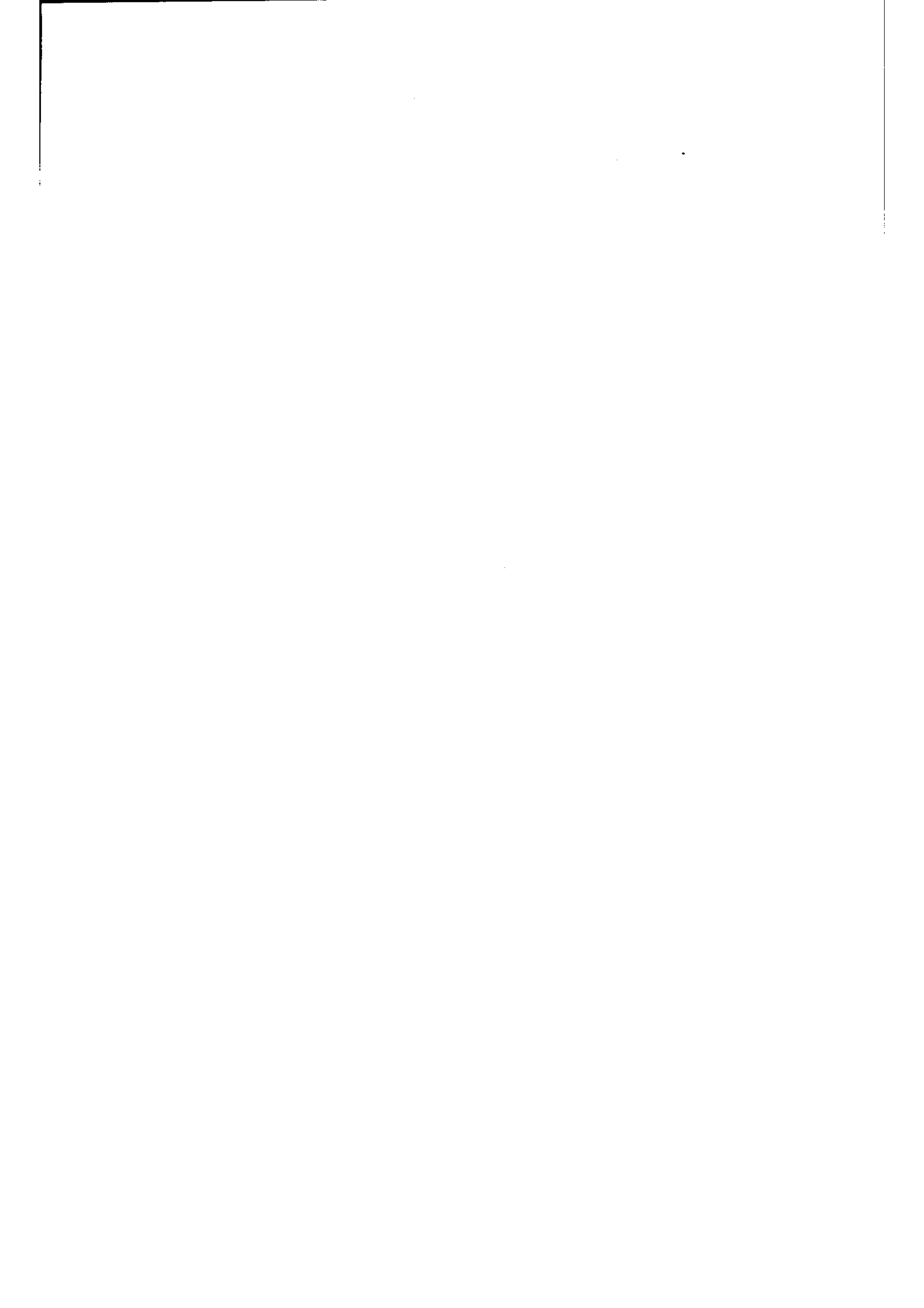
الطبعة الأولى ٢٠٠٥



دار شرقيات للنشر والتوزيع
٥ ش محمد صدقي، هدى شعراوي
الرقم البريدي ١١١١١
باب اللوق، القاهرة
ت ٣٩٠٢٩١٣ فاكس: ٣٩٣١٥٤٨
sharq_ca@yahoo.com

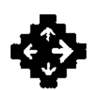
غلاف: هبة حلمي

رقم الإيداع ٨٥٦١/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولي: ١- ١٩٣- ٢٨٣-٩٧٧ ISBN

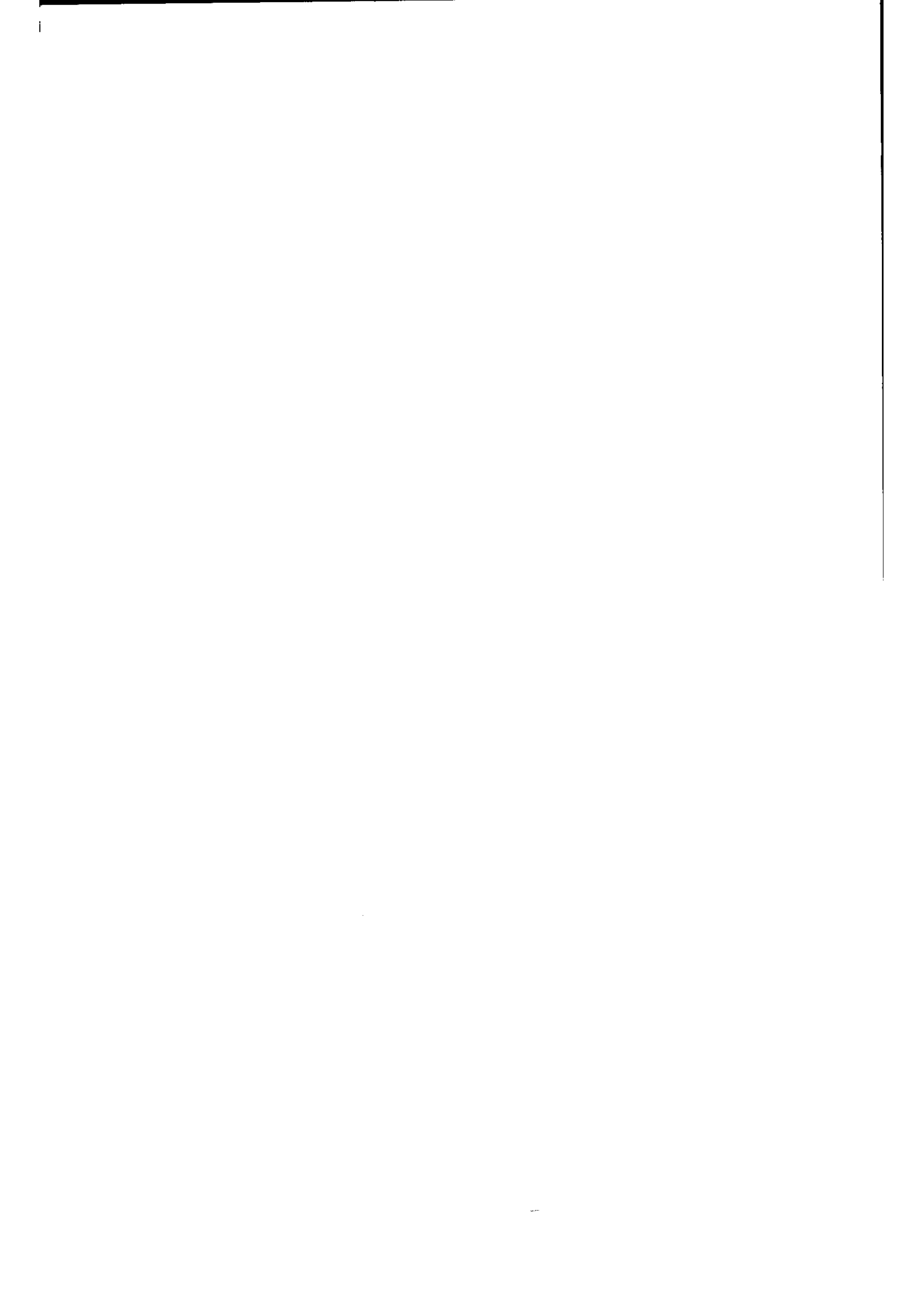


سيد البحراوي

طرق متقاطعة



دار شرقيات



القطار

في مثل هذه الرحلة كنت أسافر عادة مع زملاء...

كانوا يحجزون لي معهم تذكرة القطـــار، وكـــان وجـــودهم يجعلني مطمئناً.

هذه المرة سبقوني، فأصـــبحت مـــضطراً للـــسفر وحـــدي. اتصلت بالمحطة وتأكدت من موعد القطـــار المناســـب، وقبلـــه بنصف ساعة كنت في المحطة.

من شباك التذاكر علمت أن القطار ممتلئ. نصحني الموظف أن أركب وأحصل على تذكرة في القطار.

توجهت إلى بوفيه المحطة الذي أحبه. جلست وطلبت قهوة.

في الانتظار انتبهت إلى إنني أجلس في مواجهة مرحـــاض الرجال. هذه هي المرة الأولى التي ألاحظ فيها أن البوفيـــه فـــي مواجهة المرحاض.

من خلال بابه كان الناس يبدون بوضوح وهم يتبولون، ثـــم يخرجون وهم يغلقون فتحات بنطلوناتهم.

جاءت شابة ومعها طفلة. سألتْ إن كـــان هـــذا المرحـــاض للنساء وحين علِمَ العامل أن الطفلة هي التـــي تريـــد أن تقـــضي حاجتها، دعاها لَلدخول، دون أمها.

مد يده إليها...لكن الطفلة رفضت.

بعد قليل جاء الأب بطفلة أكبـــر. أخـــذ الطفلتـــين ودخـــل المرحاض.

جاء القطار متأخراً. نصحني عامل البوفيه بـــالركوب فـــي عربات الدرجة الثانية المكيفة حتى أجد مكاناً، ففعلت ومع ذلك لم أجد أي مكان في العربات الأربع، فوقفت فـــي ردهـــة إحـــداها. أمامي ساعة ونصف واقفاً. فكرت أقرفص لكني تـــذكرت أننـــي أرتدي زياً أنيقاً، لا يليق معه أن يراني الناس مقرفصاً.

عدت للتجوال بحثاً عن مكان فلم أجد.

أخرجت الصحيفة وأخذت أقرأ. بعد وقت جاء رجـــل ألقـــى الصحيفة على الأرض وجلس بمقعدته مستريحا، شجعني ذلك أن أفعل مثله، لكني لم أجرؤ فقرفصت حتى تعبت قدماي فعدت إلـــى الوقوف والقراءة، أحسست بشخص جديد يقف بجواري، شـــعرتٍ بنظراته تتجه نحوي. رفعت عيني ففوجئت بها. ابتهجت ابتهاجـــاً حقيقياً. قالت رأيتك تتجول بين العربات. كانت السبل قد تقطعـــتً بنا منذ زمن بعيد...غير أن ذكراها كانت تداهمني. كـــان فراقـــاً سلمياً..اضطرت إلى السفر تحت ضغط أهلها، وكانت تتمنـــى أن نتزوج وأسافر معها لكني لم استطع.

ثلاثون عاماً مضت دون أي اتصال...وهاهي الآن أمـــامي بقصرها ووجها الأسمر الشهي في القطار.

أدركت أنني مذهول ولم أنطق بحرف. أخذتني من يدي واتجهت إلى حيث كانت تجلس. على الكرسي الآخر كانت تجلس سيدة مسنة تصورت أنها أمها...لكنها لم تحادثها ولم تقدمنا لبعضنا البعض.

جلست وأجلستني على يد الكرسي، فصار جذعي ملاصقاً لكتفها. اعتدلت معطية ظهرها للسيدة ولتكون في مواجهتي. فاحت رائحة جسدها وذكرتني بما كان بيننا.

قالت إنها عادت منذ شهر بعد أن أنهت عملها هناك. زوجها مات منذ سنوات ولم تنجب، أوحشتها مصر، وهي منذ جاءت وهي تتجول في أنحائها. وإنها ذاهبة إلى أسوان. قارب القطار على الوصول إلى محطتي.

قلت لها، محطتي هي المحطة القادمة. سأنهي عملي وألحق بك.

كان القطار قد وصل متأخراً عن موعد العمل. حين وصوله إلى الرصيف أسرع به مستقبله حيث ينتظره الآخرون.

في الطريق تذكر الوعد فطلب من أحد مستقبليه أن يعود ليحجز له مقعدا في اتجاه أسوان.

بعد أن انتهى من عمله، اكتشف أنهم لم يجدوا مكاناً في أي قطار إلى أسوان.

سارع إلى المحطة وحاول مرة أخرى دون جدوى.

فأضطر للحجز عائداً إلى القاهرة.

كان ثمة ساعتان قبل موعد القطار. اتجه إلى فندق قريب اعتاد أن يجلس فيه.

فوجئ برقابه مشددة عند بابه. فتشوه تفتيشاً دقيقاً قبل أن يسمحوا له بالدخول.

حين دخل سأل النادل الذي يعرفه عن السبب قال السوّاح. طلب مشروباً وجلس، وأخذ يبحث عن الورقة التي كتبت فيها عنوان أسوان وتليفون الفندق فلم يجدها.

فتح حقيبته وأخذ يفر أوراقها ورقة ورقة دون جدوى.

لم يبق أمامه سوى الصمت، ومحاولة تذكر عنوان بيتها القديم...دون جدوى.

بعد وقت دخلت مجموعة من السائحات وسائحان. انشغلوا بالحديث فيما بينهم بلغة لم يفهمها...ربما كانت إحدى لغات أوربا الشرقية.

ظل وحيداً مشغولاً بصمته وضياعه، ولكن في لحظات كانت عيناه تلتقي بهم.

لاحظ أن إحداهن تكرر النظر إليه. بدت أجملهن فكر فيما يمكن أن يحدث. حمل حقيبته ومضى باتجاه المحطة. لم يكن موعد القطار قد أزف، لكنه فضل أن ينتظره، وحيداً، على الرصيف.

وصل القطار متأخراً عن موعده بنصف ساعة.

بحثت عن مقعدي ملهوفاً فوجدت عليه فتاة رقيقة، سألتها إن كانت قد حجزته.

دون أن تنطق أخذت تلملم أشياءها استعداداً لتركه.

لم أكن في حالة جسدية تسمح لي بأن أتركه لها ومع ذلك قلت: أنا آسف.

وهي تغادر، كان بودي أن أقول لها يمكننا أن نتشارك في الكرسي، أو يمكنك أن تجلسي على يده.

جلست على الكرسي، في الوقت الذي نادتها فيه فتاة في مقعد متقدم من العربة، حاولت أن تجلس معها ومع زميلتها في الكرسي المجاور فلم تفلح، وحين أفقت من سعادة الاستقرار...في الكرسي فوجئت بها وقد جلست على يد مقعد الفتاة.

لم يدم الأمر كثيراً. فسرعان ما وقفت، لا شك أن مؤخرتها قد تألمت من الجلسة. أدركت الأخريات ذلك، أخذ الثلاثة يتناوبن استخدام المقعدين، ويد الكرسي.

كنت منتبهاً للعبة، لكني لم انتبه لوجود الفتيات الثلاث، حتى أفقت قبيل نهاية الرحلة، إلى أن إحداهن كانت قصيرة وذات وجه أسمر وشهي، لكنها كانت أصغر سناً.

❖

خمسة عشر عاماً

خمسة عشر عاماً – كما لم تتصور – كانت كفيلة بتغيير الحال. جئت من أجلها، ومنذ لحظة الوصول سعيت إليها وأفضيت إليها بكل مشاعرك التي كبتها طوال الأعوام. بدتِ مفاجئة، لكنك تخيلت أنها استجابت بعض الشيء وأخذنا موعداً في اليوم التالي.

في اليوم التالي اتصلت بها، بدت قلقة ومرهقة وفضلت تأجيل الموعد لليوم التالي. في الموعد جاءت، التقطتك بسيارتها من أمامٍ بابِ الفندق، في البداية لم تعرفها، كان وجهها مرهقاً وعجوزاً، وخبَتَ من عينيها لمعة الشباب ومن يديها لمسة الحنان.

ارتج عليك ولُذتَ بالصمت، قالت أنها أخذت الحديث التليفوني مأخذ الهزل، لأنها لا تصدق أن يقال ذلك فجأة ودون سابق تمهيد. فوجئت أنها لم تكن تشعر– طوال هذه المدة – بما تكنه لها من مشاعر واهتمام.

أثناء جلسة العشاء حكت عن حياتها التي خلَتْ من أي حميمية. قلت لها إن هذا هو السبب في أنها قد أصبحت جافة، فرَضَتْ. وظل الحديث يتنقل بين الأخبار والنكات.. لكنها كانت

تقود للسؤال عن مبرر تعبيرك لها عن الحب، والرغبة المفاجئة في الزواج.

بعد العشاء أخذتك في جولة بالسيارة إلى أهم معالم المدينة. كانت هذه زيارتك الثانية إليها ومع ذلك فقد فوجئت بأنك لا تعرفها.

في المرة الأولى، كانت المدينة تحت الإنشاء بعد ما هدمته الحرب. الآن انتهت معظم الإنشاءات، وبدت المدينة بهية وجميلة، رجال الأعمال ينهبون كثيراً من وراء المباني، لكنهم في النهاية ينجزون شيئاً ملموساً. قالت. وصمتت. كانت تلمح إلى فشلنا وعجزنا عن فعل أي شيء.

وكانت الساعة الواحدة صباحاً أثناء الجولة فوجئت بابنتها مع صديقها وأسرته. ارتبكت، وارتبكت ابنتها. إنها هي أمها، ذات الخمسين عاماً، تسير مع غريب بعد منتصف الليل.

عندما وصلتما إلى باب الفندق، حاولت تقبيلها من خديها، لكنها رفضت وأمسكت بيدك بقوة، خالية من الحنان.

❖

طرق متقاطعة

-١-

هذا صباح الأول من رمضان. كنتٍ قد وعدت أبوي بالأمس أن أصوم معهما. استيقظت متــأخراً. أخَّــرت اســتيقاظي قــدر الإمكان.

وحين صحوت تماماً كانت الساعة الواحدة. وكان واضـــحاً في ذهني أنني لن أصوم. ولكنى قررتٍ أن أتظاهر بالصيام ولــو لفترة. نزلت إليهما وجلست، كان نائماً وكانت تطبخ فــي وســط الدار. أيقظته وسألته إن كان الصيام "ماشى معاه". قال بــصوت واهن: "ماشى، هنشوف ربنا هيِعمل أيهِ". قلت له إنه ربمـــا كـــانٍ من الأفضل أن يشرب عصيراً أو شاياً، قال لا. جلس معنا قلـــيلاً ثم نام مرة أخرى. فقمت لأصعد بحجة المذاكرة.

-٢-

في طريق الصعود سبقتني زوجتي وقالت إنه لن يموت الآن.

بالأمس حلُمتْ به، كانتِ يده مصابة بداء غريب لا يبدو منه شفاء. سألت أباه فقال: إنه قَتَلَ بها. وفى الصباح حين أغاظتني كالمعتاد سَأَلْتَهُ إن كان قد قَتَل؟ فقال: لا دخل لكَ أبي. فلما قصصت عليه الحُلم صمت. لن يموت الآن. لابد من العذاب حتى يتطهر.

-٣-

قبل عدة أيام كانت أمي قد أخبرتني أن زميلي عبد النبي. الذي كان يسابقني في المدرسة، قد ذهب إلى الخارج ليعمل، وأنه قد ترك أباه وأمه في شقته بالمحلة. حين صعدت، ولم أكن قد أفطرت بعد، وقفت أنظر من البلكونة إلى الشارع. فجأة وجدت أم عبد النبي وأباه. هي تحمل بقجة، وهو يحمل سبتا من البلاستيك، كليهما فوق الرأس. كانا يسيران بهدوء وبطء لا يتكلمان ومتباعدان، ثم دخلا الشارع... في الطريق إلى منزلهما القديم.

قلت هذا صباح قاس، صباح الأول من رمضان.

❖

صلوات

خرج عم محمد من باب المسجد. كان الضحى. لا أدري إن كان صلى الفجر أيضاً أم لا. أغلب الظن أنه صلّاه.

فليس لديه ما يشغله. هو في الثمانين وزوجته سبقته إلى السماوات العُلى منذ سنين.. وأبناؤه كبروا وتزوجوا وأنجبوا...

بيسراه كانت عصا بيضاء طويلة، بدا لي من حركة قدمه اليسرى نحو الحذاء على عتبة المسجد... أنه غير قادر على الحركة. لكنه استقام، ونزل السلمتين ببطء ثم طوح العصا أمامه وسار بقوة لم أكن أتخيل أنه يمتلكها... بعد خطوتين توقف وأخذ يدعك عينيه، ثم فجأة انحرف يميناً بقوة، بدا لي أنه- بالعصا- يبحث عن الطريق... ظننت أنه فقد الإبصار.. فأنا لم أقابله منذ سنوات. ثم عاد وتوقف يدعك في عينيه، بعدها أخذ الطريق المستقيم - بحذاء الترعة - والعصا تسبقه دون أن يعتمد عليها كثيراً.

بعد صلاة العصر وجدته جالساً على السلمتين مضطجعاً على العتبة ممسكاً بالعصا بين ساقيه، وبجواره كانت سعدية العانس، يتسامران.

❖

معاش

خرج الأستاذ عبد الجواد إلى المعاش بعد سنوات تدريس طويلة في الابتدائي. قال سأفتح محلاً في البلد.

سألته: أي محل؟

قال لا أدري.

بالأمس كنت أنظر من الشباك، فوجدت المحل مفتوحاً، بعض أصناف البقالة القليلة بالداخل، وهو يجلس على عتبة الباب وفوقه حبل علقت عليه الأصناف الخفيفة.

فكرت في الذهاب إليه للتهنئة أو للمواساة. لكني تراجعت. هذا الصباح، وجدته في نفس الوضع. كان وحيداً وصامتاً، ولم أسمع أي شخص يشتري منه شيئاً.

قرب الظهيرة سمعت امرأة تسأله إن كان لديه إبرة تسليك وابور الجاز.كان واضحاً أنها تتهكم عليه.

لم أسمع رده. ربما لم يعني نفسه بالرد، وربما نفي بخفوت.

فيما بعد سمعته يرد على امرأة أخرى بغضب: إحنا ما بنجبشي الحاجات الفارغة دي.

أذن لصلاة الظهر- سمعته يغلق الباب، ويذهب للصلاة.

انتظرت أن يعود بعدها.. لكنه لم يعد.

بعد ساعة وجدت نصف الباب مفتوحاً. وهو لم يكن موجوداً. بحثت بعيني نحو الناصية. كان هناك..

جالساً مع آخرين، وقد خلع القميص والبنطلون وارتدى جلباباً.

نصف ساعة، ثم سمعت صوت الباب.

نظرت فوجدته يغلقه، ويتأكد من إحكام القفل، ثم يسير نحو بيته.

من أعلى رأيت ياقة القميص تبدو بارزة تحت الجلابية البلدي.

❖

عزاء

استيقظت من القيلولة علي خبر موته من ميكروفون المسجد.

نظرت من الشباك عليّ أجد أحداً أسأله، فلم أجد.

نزلت وفتحت الباب وخرجت إلى البلكونة، وجدت صبي الحلاق. قال، كان مريضاً... ورغم أني كنت أرى ملامح الإرهاق على وجهه دائماً... فلم أصدق.

كان الخبر قد أعلن أن الدفنة عند وصول الجثمان من مسجد الرحمة. ارتديت جلباباً آخر. لم يكن نظيفاً تماماً، لكنه كان أفضل مما كنت نائماً فيه، وخرجت.

عند ابن عمي المجاور جلست.. عرفت أن "فسبا" صدمته الأسبوع الماضي في المركز بينما كان يسير في اتجاه موقف السيارات...

توجهت إلى الجامع.. كان الناس يجلسون على جانبي الطريق في انتظار الجثة.

انتظرت حتى صلاة العشاء ولم تأت. قالوا إنهم بالكاد حصلوا على موافقة النيابة التي لا تعمل صباح الجمعة، وإنهم عادوا إلى المستشفي حيث الجثة فيها.

عدت إلى بيتي أنتظر... كان ثمة شيء خاص يلح عليَّ لأشارك في الجنازة. كان شخصاً لطيفاً.

كان أميناً ومخلصاً وحنوناً ثم انتقل إلى عمل آخر، لكننا كنا نلتقي في المناسبات.

جاء في عزاء أبي وأمي.

مات أبوه من شهرين، ولم أذهب إلى العزاء. بعدها قابلني بنفس البشاشة واللطف.

ولم انتبه إلى أنني كنت أحبه إلا حينما سمعت خبر موته. لم تأت جثة مجدي قبل أن يغلبني النوم الحزين. في الصباح عرفت أنهم دفنوه في الثانية صباحاً، وأنهم تقبلوا العزاء بعدها في الدوار.

فيما بعد علمت أن أهله يتلقون العزاء في منزلهم. فكرت في الذهاب... لكني وجدت نفسي غير راغب. كنت أريد أن أعزيه هو.

ذهبت إلى المقابر بحثت عن مقبرته حتى وجدتها. لم يكن هناك أحد. جلست واجماً بعض الوقت... ثم تذكرت أمي... فانتقلت إلى مقبرتها. جلست مولياً ظهري لها، وبكيت.

❖

أموات

المعركة الأخيرة ضد تنظيم القاعدة، الأخبار تقول أن المخابرات الأمريكية قد نجحت - أخيراً - في تحديد موقع بن لادن. القوات الإسرائيلية تقصف الإرسال الإذاعي والتلفزيون الفلسطيني وتحاصر الرئيس عرفات، وتقتحم بيت مروان البرغوثي وتحتجز أسرته في غرفة منه. وهو مختف، أبحث عنه في الأخبار فلا أجده.

لا أستطيع أن أفعل شيئاً. عليَّ - حتى - أن ابتعد عن الأخبار، لابد من الذهاب إلى القرية لقضاء إجازة العيد مع أمي وأهلي. أحاول أن أنام، مُغتماً قمت. زوجتي عصبية قلقة. هل لديها أسباب أخرى للقلق!

في التليفون كانت أختي قد أخبرتني أن جزءاً من الزكاة سيذهب إلى أسرة احترقت. لم أهتم بمعرفة التفاصيل، حين وصلت إلى القرية علمت أن أسرة قريبة لنا من بعيد قد احترقت منها امرأة وحفيدتها. كانوا يخبزون وكان قدر يغلي فوق موقد الغاز. فارَ فانطفأ دون أن ينتبهوا فتسرب الغاز والتحم مع نيران الفرن، فاشتعلت فيهما.

قالوا إن الحفيدة قد ماتت والجدة مصابة بحروق شديدة ينتظرون وصول الجثة من المستشفى.

عدت أتابع الأخبار عبر الراديو... جهود دبلوماسية عربية لإنقاذ عرفات... وزير الخارجية المصري يدعو لعقد اجتماع للجنة المتابعة... لا يستجيب أحد.. اتفقوا على دعوة مجلس الأمن للانعقاد. الولايات المتحدة والاتحاد الأوربي يدعوان عرفات لمضاعفة الجهد للقضاء على الإرهاب: حماس والجهاد.

صوت ميكروفون المسجد...

"إنا لله وإنا إليه راجعون.

توفيت إلى رحمة الله تعالي عُلَا محمد حمودة

والدفنة الآن من مسجد الهلال".

الآن... بعد منتصف الليل والجو شديد البرودة...مسجد الهلال بعيد...

مرة أخرى:

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفيت...

والدفنة حالاً من مسجد النور.

... صَمَتُّ متوتراً... أنا في حاجة أن أُعـزِّي الفلسطينيين ومسجد النور قريب، في مواجهة بيتي.

كان النداء يطلب من الناس أن يصطحبوا معهم مصادر للضوء. بحثت عن بطاريتي ووجدتها... ضوؤها ضعيف لكنه يكفي. وضعتها في جيبي ولبست العباءة وخرجت.

أمام المسجد فوجئت بهذا العدد الكبير من البشر. مئات أحاطوا الطريق في مربع ضلعه الرابع هو باب المسجد. صامتون... بعضهم يدخن... البعض في داخل المسجد.

لم أفهم ما يحدث... أين الجثة؟ قال واحد في المسجد يصلون عليها. لم أصدق. عدت إلى منزلي لأرتدي شيئاً يقي رأسي من البرد القارس وعدت... جلست أدخن سيجارة: لماذا كل هذه الهيبة؟ هلٍ هو مجرد الموت؟ أم موت هذه الفتاة ذات الخمسة عشرة عاماً أم لأن أباها رجل فقير... لأننا في رمضان... العيد بعد يومين. هل يحتمل أن يكون هؤلاء مثلي- قد جاءوا يعزون كل قتلى العالم الأبرياء!

جاءت سيارة تحرك البعض نحوها. أدركت أن الجثة لم تصل بعد.

علا صوت الميكروفون يعلن وصول الجثة. نظرت داخل المسجد. لم أجد نعشاً يتحرك... لم تصل الجثة.

عدت إلى منزلي للبحث عن مزيد من السجائر. وجدت زوجتي في الشرفة تتابع المشهد الصامت الحزين، كانت في غاية التأثر:هذا الصمت غريب.

وقفت أتابع معها، جاءت سيارة الإسعاف، أحضروا النعش ووضعوا فيه الجثة وأدخلوها إلى المسجد للصلاة... نزلت. كان العدد قد تضاعف. تكدس الناس أمام المسجد، فوجئت بهذا العدد الضخم من اللمبات النيون المشحونة مسبقاً. بدأ الجمع في الحركة. التابوت في المنتصف. نسرع ونبطئ حسب حامليه. عادة أشارك في حمل النعش. هذه المرة لم أكن قادراً.

سرتُ في المقدمة، صمت "مطبق" سوى حركة الأقدام التـــي لا تكفيهَا الإضاءة للسير الحثيث. نظرت خلفي لأبحث عن النعش وجدته قريباً، وخلفه كان جمع أكبر من البشر وإضاءة أقل. قلـــت فلأعد إلى الخلف فربما أفادت بطاريتي.

في الخلف كان المشهد أكثر جهامة، الفقراء يسيرون خلـــف النعشِ وليس أمامه، أخرجت بطاريتي وأضأتها.. كان ضـــوؤها ضعيفاً ولكنه –على كل حال– أفضل من لا شيء.

الفائدة الأكبر من هذا الضوء الضعيف، جاءت فـــي نهايـــة الرحلة. وصل النعش إلى مثواه، تجاوزته إلـــى مقـــابر أســـرتنا وحدي.. لم يكن ثمة من يحمل لمبة. قادني ضوئي الضعيف...

عند المقابر وجدت بعض أفراد أســرتي. قــرأوا الفاتحـــة، واتجهوا خارجين، ظللت أُضيء لهم الطريق واحداً وراء الآخر، وبقيت حتى خرجوا جميعاً فخرجت إلى الطريق حيث كان أهـــل الميت قد اصطفوا يتلقون العزاء إعلاناً عن الاكتفاء بتشييع الجثة دون مأتم.

ولكن المأتم كان في اليوم الخامس.

هكذا توقعت حين سمعت الميكروفون صباح ثالث أيام العيد، وأنا أتناول طعام الإفطار يعلن بصوت مرتجف لا يجيد الإلقاء.

إنا لله وإنا إليه راجعون

علاء محمد حمودة

ثم عاد ليقول:

محمد حمودة

ثم بدا أن شخصاً آخر قد اختطف منه الميكروفون ليعلن بثبات

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله

علاء محمد حمودة

وتشيع الجنازة من مسجد النور بعد صلاة العصر.

قالت أمي:

يا عيني جم يصحوه لقوه ميت!

ثم أردفت:

يستاهلوا...ربنا حينتقم منهم.

سألتها ليه

قالت: مش أبوهم سارق عربية قماش ومش عارفين يمسكوها!

فيما بعد علمت أنه وقع ضحية نصب من قبل تجار ودخل السجن، ولم يخرج إلا بكفالة دفعها أخوه.

بدا الصراع بداخلي هل أذهب إلى الجنازة أم لا.

لم يكونوا قد عثروا بعد على بن لادن، وما زال عرفات محاصراً رغم إعلانه إدانة العمليات الانتحارية كما طلبت منه أمريكا وإسرائيل... وما زال قتل الفلسطينيين مستمراً...

والسلطات الإسرائيلية تمنع "ساري نسيبة" من إقامة حفل استقبال في أحد فنادق القدس بمناسبة عيد الفطر (السعيد)... هكذا تكرر الوصف رغم اختلاف الإذاعات.

لم يكن لديّ برنامج عمل واضح، كان اليوم مشمساً والرغبة في الدوران حول البلدة وزيارة أختي قوية ، بعد الصلاة التحقت بالواقفين أمام المسجد... كان الوجوم، لكن الحزن لم يكن واضحا. سرنا في نفس الطريق. بدا لي العدد أقل رغم أننا في وضح النهار... كانت المقدمة مسرعة، مع أن الأب بدا منهارا بحيث أمسك به شخصان من الجانبين. لكن قلب الجنازة كان يطلق صيحات:

"وَحِّدوه" أو يصفق واحد بيديه لينبه المقدمة لتتمهل.

بحثت عن شخص قريب أعرف منه الحقيقة: الأخ الوحيد لعلا. في الواحدة صباح اليوم طلبوا له الطبيب لكنه حين وصل... كان الفتى (اثنان وعشرون عاما) قد مات. انفجار في المخ.

أثناء توديع الجثة في المقبرة، بدأت أراجع توقعاتي، هل سيقيمون مأتماً أم لا. أرجح الظن أن المأساة أكبر من أن يقام لها مأتم. لكني لم أستطع التعرف - في ذاكرتي - على الكيفية التي سيعلنون بها ذلك.

وقف المعزون صفين على الجانبين، وبينهما سار أهل الميت يعلن كبيرهم: اكتفينا بتشييع الجنازة، ولا عزاء في الدار ولا في الدوار.

عدت من الطريق الذي يقود إلى دار أختي، وجدتهم مشغولين. سألت: دفنت الميت؟

قلت: آه.مأساة.

قالت: إزّي أمك... أنا شفتها قاعدة قدام الدار وأنا راجعة من العزاء.

قلت: وما دخلتيش ليه؟

قالت: لأه. حرام.

إزاي يعني... ليه؟

أنا سمعت كده زمان. الواحد ما يدخلش أي دار وهو راجع من العزا!

نظرت في ساعتي... كان موعد الأخبار قد اقترب، قعدت لأعرف آخر ما حدث.

❖

فانوس رمضان

أحرص على إهداء فانوس رمضان لكل الأطفال المقربين مني. فهو عادة مصرية جميلة أحب أن تتواصل. وهو رمز للضوء الذي نحتاج إليه في حياتنا.

في السنوات الأخيرة تطورت صناعة الفوانيس، وصارت تعمل بالبطاريات بدلاً من الجاز أو الشمع الذي كنا نستعمله أيام زمان.

هذا العام فوجئت بفانوس صغير جداً بحجم الميدالية، يضيء ويغني أيضاً أغاني رمضان. صناعة صينية "جيدة" ورخيصة الثمن تغزو أسواق العالم منذ سنوات.

لم أعرف بأي طاقة يعمل، في الغالب ستكون بطارية مثل بطاريات الساعة.

لم يسعفني الوقت كي اشتري منها لأطفالي في القرية. فأرسلت إلى المدينة شخصاً لم يستطع الحصول عليها فحزنت قليلاً.

صباح الجمعة، بعد الصلاة كنت في طريقي لزيارة قريب ومررت بمحل أعرف عنه أنه يبيع كل شيء، ولكني ترددت في

سؤاله. استبعدت أن يكون هذا الاختراع الجديد قد وصل إلى قريتي النائية.

في عودتي مررت به أيضاً. كان أقل ازدحاما مما شجعني على سؤاله. أبدى اندهاشاً من السؤال وقال طبعاً عندنا.

اشتريت منه أربعة، لكامل وخالد وهبة ومحمد، وعدت وأنا أفكر في كيفية توزيعهم.أجلت ذلك إلى المساء. لكن بعد قليل جاءت هبة ومحمد مع عمتهما التي جاءت تعتني بجدتها... تحممها وتأخذها للإفطار معهم.

أعطيت كلا فانوسه.كانا معجبين بهما.علمتهما كيف يديرانه.. حاول كل منهما إفساده بسرعة كعادة الأطفال، لكنهما لم ينجحا. أراد محمد أن يستبدل فانوسه بفانوس هبة، رفضت أنا، لكنها هي وافقت، بعد حين استرد هو فانوسه وعادت هي إلى فانوسها الأصفر، وكان فانوسه فستقياً. لكنهما معاً يغنيان أغنية محمد عبد المطلب: رمضان وفرحنا به.

في معركتهما أدركت أنهما قد أصبحا وهما في الثالثة من عمريهما يناديان بعضهما بالاسم الكامل: هبة علي ومحمد يوسف.

في اليوم التالي دعوت أسرتي كامل وخالد للإفطار. كان الجميع موجودين وعند انتهاء الطعام، أعطيت كلاً من الطفلين فانوسه، فانفجرت العواطف من قبل الجميع، حتى الكبار منهم. كبت الكبار عواطفهم، لكن الصغار الأكبر سنة أو سنتين من كامل وعاطف انفعلوا بحدة، أفقدتني صوابي.

محمد خطف فانوس كامل وجرى. وخالد أخذ يوزع فانوسه على بقية الصغار، دقيقة لكل، أما أحمد فكاد يبكي. قلت له إنني

اشتريت للصغار فقط، وأنت قلت بالأمس أنك كبير. قال، ولكنني أحب الفوانيس، فسقط الكلام مني.

يكاد يبكي... أمي لن تعطيني أربعة جنيهات.. سألتها قالت لما نروح مصر.

بعد قليل التحق بنا "الفار"، بمجرد أن لمح الفانوس في يد خالد حتى جنّ، ظل كاظماً غيظه وأنا أتابع متألماً حتى قال في النهاية: يمكن أن أجيب واحد في العيد.

قلت: ماذا تفعل به في العيد، إنه لرمضان.

قال: ألعب به. ثم أعقب لو كان معي أي شيء... جنيه.. كنت جبت واحد.

لم يعد أمامي مفر، فقمت- سعيداً- إلى محفظتي وأعطيتهما عشرة جنيهات وقلت لأحمد. اِشتر لك وللفار فانوسين وعد بالباقي.

ذهبا ولم يعودا بسرعة.. انتظرت.

جاء الفار ومعه فانوس لا يُغنيِّ لرمضان، بدا لي أنه ليس سعيدا كما توقعت ولم أدر لماذا. ولم يأت أحمد.

عندما دخل أبو الفار وأمه لزيارتنا. أدركت أن نبأ الفانوس الهدية لابنهما قد بلغهما.

وبعد خروجهما جاء أحمد كان معه فانوس مختلف، يغني "وحوي يا وحوي" ويضيء أفضل من الآخر.

سألني الواد جاب لك الجنيه.

قلت: أيوه وفين الجنيه التانـي!

قال: مش عارف، هو قال ما عندوش غير واحد بأربعة جنيهات.

أنت هتسافر دلوقتي؟ خليك للصبح.

قلت عندي شغل الصبح. بدا حزيناً مرتبكاً وسعيداً بالفانوس، لم أكن أعرف كيف أتصرف.

قلت له تيجي معانا. قال متردداً يا ريت.

أمه ليست في البيت ولا في الدكان، هي في الجامع.

لمحتُ سارة أخت خالد قادمة من الدرس.

هل انتهيت من الدرس؟ خذي أحمد معك.

اقتربتْ من أحمد: هو أنت جاب لك فانوس؟ ومتحسرة، اقتربت من الفانوس وأضاءته، كنت أود لو اشتريت لها هي الأخرى فانوساً رغم أنها في الحادية عشرة.

تردد أحمد بين ملامسة السيارة والذهاب مع سارة.

قبّلت سارة، وقبلته فسارا ببطء وانطلقت- حزيناً - بالسيارة.

❖

أول يوم في رمضان

في الصباح جاء أحمد. قال: متشوق للأكل!

قلت له: كُلْ!

قال : لا. حرام.

صمتُ. ثم قلت استنى شويه ولو جعت قوي، كُل وصوم بكره.

أنت عندك كام سنة؟

قال: في سنة ثالثة.

فقلت كاذباً: يعني ٨ سنين، ممكن تصوم السنة اللي جايه. صَمَتَ فصمت.

بدأ يبحث عن الأقلام وأوراق الرسم. كنت أعمل فلم يشأ أن يزعجني. حاول أن يرسم ففشل، وأخذ يذهب في أرجاء الشقة ذهابا وإيابا.

محاولاً أن ألهيه عن ألمه أرسلته ليشتري لي شيئاً، لكي أجد فرصة لأعطيه مصروفه المعتاد.

خرج قلقاً.

في صلاة الجمعة وجدته في المصلى متعباً، ولكنه أخيراً انتظم في صفوف المصلين.

بعد الإفطار جاء. متلهفاً، غَيَّر التلفزيون على القناة الثانية: فيه زكيه زكريا. لم يجدها، وجد إعلانات فقام ليغيرً القناة. قلت له هذه إعلانات وستأتي بعدها.

أعاد القناة الثانية. جاء برنامج الكاميرا الخفية. كان كعادته سمجاً. انتظرت لقطتين وسألته بيعجبك؟

قال: أهو بييجي.

انتظر لقطة ثالثة ثم قام لتغيير القناة إلى الأولي.

بعدها بقليل أخذ يتثاءب وقال: الواحد عاوز ينام.

سألته: أمك لسه في الدكان؟

قال: بتصلي وكل اللي في البيت معاها، كنت رايح البيت وعديت عليك، قلت عمّي.

لحظات ولاحظت أنه بدأ يغلق عينيه ويذهب في النوم.

أيقظته وقلت له: إذا كنت عاوز تنام أعدل راسك على المخدة.

أعددت له المخدة على الكنبة بجواري على نحو مريح.

استيقظ وقال: بس أنت بتركن عليها.

قلت هركن على الثانية.

فألقى رأسه عليها واستغرق في نوم عميق.

كامل

تغيبت عن البلدة كثيراً، وأخذت علاقتي بأحمد تتباعد، لم يعد يهتم بي كثيراً حينما يراني. في المقابل كان كامل أخوه الأصغر يقترب مني. كانت علاقته بي قد ابتدأت منذ فترة، وكانت ذات طابع مختلف، لعب عنيف إلى حد ما.

كنت احتسي قهوة الصباح الأولى، حينما دخل أحمد وكامل. جلسا صامتين، عرضت عليهما شراء حاجة حلوة. اعترضا معاً، كما حدث بالأمس. لكنهما في النهاية أخذا النقود وخرجا. وكما حدث أيضاً بالأمس لم يعد أحمد وعاد كامل. صعد معي إلى المكتب وحاول أن يرسم شيئاً ولم أساعده لأني كنت مشغولا بعمل.

لم يكن قد اشترى حاجة حلوة فنزل وعاد بكيس لم أدر اسمه، وجلس يتناول حباته بتلذذ لكنه قبل نهايته قال: ما كسبتش. ها أروح أجيب واحد تاني.

كنت قد فهمت ما يقصده، ولكني لم أعلق وانتظرت.

عاد ومعه الكيس وأخذ يتناول حباته، وأنا أبدي أنني مشغول بعملي. في المنتصف قال: كسبت. فقلت كسبت أيه؟ قال مش عارف. التفت إليه، كان يمسك بلفافة من ورق الألمنيوم ويفكها بالتدريج، ثم قال بطة.

لم أطمئن إلى كلامه حتى بدت لي البطة واضحة المعالم بالفعل: رأس مرفوعة وساقان طويلان وجسم منساب، كانت خضراء اللون تقف على قاعدة مستديرة.

قلت وريها لي، فأعطاني إياها، تأكدت من ملامحها وأعدتها إليه، ولا شك أنه لمح في عيني وأنا أعيدها إليه رغبة ما. قال: تحب تحطها على مكتبك؟ قلت: أنت مش عاوزها. قال: لا

ومد يده إليَّ بها، فالتقطتها ووضعتها أمامي على المكتب، وأخذت أتأمل رشاقتها ورقتها.

في اليوم التالي، جاء. أخذ المصروف وجلس صامتاً يتأملني وأنا أقرأ. وفجأة وجدته بجواري، يلتقط بطته، ويحاول أن يبحث لها عن مكان آخر لكنه عاد ووضعها في نفس المكان وخرج.

❖

أدهم

حينما زارني في المرة الأولى، بدا مندهشاً من شغفي بالشموع إلى هذه الدرجة، لكنه لم يعلق وانشغل بلعبه مع أخيه.

وعند انصرافه أبدى رغبة في أن يأخذ واحدة من الشموع، فأعطيتها له، وأخرى لأخيه.

بعد ذلك حينما كانٍ يكلمني أحد أبويه في التليفون...كان يطلب التحدث إليَّ مسمِّيا إياي "شمعة".

في الزيارة التالية جاءني بشمعة صغيرة هدية، وطلب أن يتعلم كيف يصنع الشمع. فانشغلت عن أبويه بمشاركته تحضير الأدوات.

اكتشفت أن له طريقة أخرى.. أن ينحت قطعة من الشمع الخام ويحولها إلى شمعة جميلة، بعد أن ساعدته في وضع الفتيل فيها.

عند مغادرته أهداني الشمعة.

وأهديته قطعة كبيرة من الشمع الخام وفتائل جاهزة.

بالأمس زارني أبوه، سألته عن أخباره فقال إنه صنع ثلاث شمعات.

دراجة

لم أكن قد انتبهت إلى أن البنات في قريتي قد صرن يركبن الدراجات، إلا حينما رأيت طفلة على وشك البلوغ تمرح سعيدة فوق دراجتها ذهاباً وإياباً. رأيتها خارجة من الشارع المواجه لي ثم مع نهايته- دارت بالدراجة وعادت تدخله من جديد، بسرعة واضحة. كان واضحاً أنها متمكنة من القيادة...لكن فجأة رأيتها تسقط، كانت ترتدي بنطلوناً وبلوزة وإيشارباً. مع السقوط أنزاح الإيشارب عن رأسها. ولم أفهم السبب، إلا حينما رأيت رجلين يمران بجوارها، كان واضحا أنها فوجئت بخروجهما من أحد الأبواب فارتبكت.

ظلت على الأرض لحظات قليلة، ثم قامت واعتدلت وأوقفت الدراجة. أمسكتها باليسرى وأعادت الإيشارب إلى مكانه باليمنى. كان الرجلان قد اختفيا- امتطت الدراجة وانطلقت.

❖

أسود وأبيض

من بعيد بدت كتلة قرمزية سوداء تتحرك باتجاهي..

عباءة سوداء حتى القدمين وحجاب أسود لا يظهر منه سوى وجه بيضاوي صغير. حاولت - على البعد - أن أتعرف على ملامح هذا الوجه دون جدوى... مع الاقتراب بدأت ألاحظ أنها لا تزيد عن العاشرة..

أخذني العجب، ففي مثل هذا السن يكتفي الأهل عادة بالحجاب... أما أن يصبغوا الفتاة كاملاً بالسواد!

غير أن الفتاة سرعان ما أزالت عجبي. توقفت فجأة في وسط الشارع. وضعت الكتاب الذي كان بيدها تحت إبطها. وفتحت العباءة على الجانبين، فبدا السروال الأبيض الطويل تحتها، أحكمته حول وسطها ثم أعادت العباءة كما كانت، وعادت إلى السير، وهي تحاول باستمرار إحكام العباءة حول جسدها، والحجاب حول رأسها ورقبتها.



شواطئ

مرسي مطروح أجمل شـواطئ مـصر. الرمـال ناعمـة كالحرير، والمياه متعددة الألوان، من الأزرق الغامق إلى الفـاتح حتى يصل إلى اللون اللازوردي عند الشواطئ. القذارة...تتفاوت من شاطئ لآخر، وكذلك درجات الألوان.

في اليوم الأول ذهبنا إلى الشاطئ الخاص الوحيـد. الميـاه نظيفة وهادئة والرواد قليلون. فالرسوم خمسة أضعاف الـشواطئ العامة. المساحة ضيقة وفي ركن من الخليج.

في اليوم التالي ذهبنـا إلـى شـاطئ عـام قريـب مـن مسكننا..المياه أقل نظافة، ولكن المنظر مفتوح على البحر.

المحجبات ينزلقن إلى البحر كما هُنَّ، بكامل ملابسهن فيمـا عدا الأطفال- فيخرجن وقد التصقت الملابس بالأجساد مبرزة كل تفاصيلها. بعض البنات يحرصن على التخلص من هذا المـأزق، فينزلن بملابس تغطي الجسم إلى درجة الالتصاق بكـل تفـصيله فيه، لا تسمح حتى للماء للدخول ما بين الجسم وما يُرتدى.

خمسة أطفال يميل لونهم إلى القمحي الغامق، بيـنهم بنـت وحيدة، يبدون أخوة، الصبية يلعبون وحدهم ... تحاول الطفلة أن تشاركهم لكنهم لا يهتمون بها.

في "الأُبَيِّض" في اليوم الرابع... مزيج غريب من تدرج الألوان. الموج عال ولكن المياه تغري بالتوغل... حذار ثمة تيارات.

أسرة تحت مظلة مجاورة... عجوز في السبعين، ذو لحية بيضاء خفيفة: امرأة قمحية في منتصف العمر صامتة. هل هي ابنته؟ امرأة في نفس العمر تقريباً شقراء سافرة، تتحدث لغة أجنبية... تبدو زوجة ابنه الغائب، وطفلة بنت عامين.

الجد يحمل الطفلة ويتوغل في الماء... الطفلة هادئة ومستمتعة. أمها تشير من بعيد أن ينزلا إلى الماء. عوامات صغيرة حول ذراعي الطفلة... الجد لا يستجيب... يعيد الطفلة إلى أمها.

ويعود هو إلى الماء العنيف فيصارعه بقوة واستمتاع.

الأم تحاول دفع البنت إلى الماء، والبنت ترفض بإصرار وتبكي، وتسرع خارجة إلى المظلة فتتلقفها عمتها في حضنها.. المرة الوحيدة التي تحركت فيها العمة.

تنزل الشقراء إلى الماء..الوحيدةٍ التي ترتدي المايوه، تصل إلى حيث الجد، الحماء يصارعان معاً الموجات العالية.. يبدوان كشابين لا يصارعان فقط الماء... بل يصارعان رغبتيهما.

❖

قمامة

-١-

جلست أحتسي القهوة في شرفة الصباح. كان عاملا نظافة يقومان بعملهما أمام مدخل البيت. لاحظت كيس القمامة الذي أخرجته زوجتي بالأمس، كان ما زال كما هو. أخذني قلق خفيف.

تذكرت قصة الرجل الذي حمل كيس قمامته وذهب إلى مقلب القمامة على ناصية الشارع، فلما وجده ممتلئا، بحث عن عصا أزاح بها بعض أكياس الآخرين إلى الأرض، ووضع كيسه في المقلب.

لم أكن أتصور أن زوجتي تعيش نفس القلق، ولذلك فوجئت بها. بعد أن حمل العامل الكيس تتنهد في ارتياح:

خشيت أن يرفض حمل ما بالكيس من محرمات.

دفع العامل عربته أمامه، وسار مبتعداً، ثم توقف وأخذ يفتح أكياس القمامة، ويخرج من أحدها بقايا رغيف ويبدأ في تناوله.

-٢-

في اليوم التالي ابتهجت عندما رأيته أمام المنزل المجاور، كانت رائحة قمامتي تفوح نتنه في المنزل، وخشيت إخراجها منه حتى لا تؤذي الجيران.

أغلقت الكيس بإحكام وحملته ووضعته أمام الباب، وجلست في الشرفة أنتظر.

بقي العامل مدة طويلة أمام المنزل المجاور، ثم أخيراً تحرك يدفع عربته أمامه، وفجأة توقف، قلقت ثم قلت لابد أنه يلتقط نفايات منه، لكني فوجئت بيده تحمل حافظة جلدية صغيرة. كان واضحاً أنه لا يراني. أخذ يتفحصها ثم فتح سترته ووضعها في جيب قميصه، التفت خلفه ليتأكد أن لا أحد يراه، ثم عاد ليضع الحافظة في جيب بنطلونه الخلفي.

أحكم إغلاق السترة ثم تحرك باتجاه منزلي.

ظل سائراً دون أن يراني. قلت سوف أناديه- إذا لم ينتبه لقمامتي- ليحملها... وهنا سيدرك أنني رأيته. لكنه التفت ناحية الباب، توجه إلى الكيس وحمله ومضى.

❖

مكابدة

جلست في القاعة أتابع المتحدثين، وفجأة حين نظرت إلـــي الكرسي الفارغ المجاور لي، وجدت حُلمي في طريقي إلي القاعة، كنت مبتئساً لأنني نسيت أن أضع في جيبي – كالعادة – بلــوك نوت صغير... كنت أتوقع أن أسمع شيئاً يستحق أن يكتب، أو أن فكرة ما قد تطرأ لي أحتاج إلي تنظيمها علي الورق قبل قولها.

علي الكرسي كان ثمة ما يشبه الكتاب، فهو ذو غلاف أحمر كتبت عليه بعض الكلمات بلغة لم أفهمها. فتحت الغـــلاف، فـــإذا بداخله ورق مسطر فارغ، فتحته من الناحية الأخـــرى، وجـــدت نصف صفحة مسطرة بقلم أزرق. أغلقت الكراسة وجلست قلقاً.

عدت أتابع المتحدثين بنصف وعي، فهم يقولون ما سبق أن قالوه مئات المرات، وبدأت ألوم نفـــسي لأننـــي جـــشمتها عنـــاء المجيء. لكن شعوراً خفيفاً بالراحة بدا يتسلل إليَّ حين امتد الوقت ولم يأت أحد يسأل عن الكراسة. نظرت حوليَّ، فوجدت الآخرين بعيدين ولا ينتبهون إلي قلقي.

فكرت في الطريقة التي ينبغي أن أتصرف بها، كـــي آخـــذ الكراسة دون أن ينكشف أمري: أنتظر حتى نهاية الجلسة، فإذا لم يأت صاحبها ليأخذها، آخذها وانصرف في حماية الآخرين؟

لم أطق صبراً ولم يكن معي ما أخفي بـــه الكراســـة. قلـــت أضعها تحت الجاكيت. لن يخفيها. خرجت من القاعة وحـــصلت علي أبحث عن إحدى أوراق الندوة التي كنت قد أهملتها من قبـــل وعدت.

بدأت بالتظاهر بقراءة البحث، وبشبه إهمال ألقيتهـــا فـــوق الكراسة. وحين تأكدت أن أحداً لا يراني، دسست الكراســـة فـــي داخل البحث، بحيث لم يعد يظهر منها ســـوي حافـــة صـــغيرة. جلست بعض الوقت ثم حملت حلمي وخرجت.

لم ينته القلق.

حين خرجت من القاعة وجدت الشخص الذي كـــان يجلـــس خلفي قبل أن يخرج. قلت ربما هو صاحب الكراسة. كان يـــتكلم الإنجليزية، وحين تحدث أمام الجمهور صفقوا له طويلاً لأنه كان يسب توني بلير وبوش وكوندليزا رايس، ويعلـــن تـــضامنه مـــع المقاومة العراقية.

فكرت أن أتقدم إليه وأن أسأله إن كانـــت كراســـته. لكننـــي تراجعت، فلو كانت فسيأخذها مني، وإن لم يكن سيعتبرني لصاً.

خرجت من المبني كله، وتوجهت إلي سيارتي. ألقيت حلمي في المقعد الخلفي وقدت السيارة إلي مكانٍ آمن. أخرجت الكراسة من حرزها وفتحتها، حاولت أن أفهم شيئاً مـــن المكتـــوب فـــي الصفحة الأولي دون جدوى، قطعت الورقة المنـــاظرة لهـــا فـــي الناحية الأخرى. طويتها أربعاً ووضعتها فـــي جيبـــي، وأعـــدت الكراسة إلي الكرسي الخلفي.

سائق

موقف التاكسيات. سيارته في الترتيب الثالث. نزل ليستقلها. كانت تتحدث في التليفون المحمول. قبلها وقبلته دون أن تقطع الحديث. جلس على أريكة مقابلة وجلست بجواره.

قبل أن تنهي محادثتها ركب زبون السيارة الأولى.

تركها وقام ليتحرك بسيارته إلى الصف الثاني، ثم عاد. كانت محادثتها قد انتهت... وقفت وقبلته قبلة طويلة، ثم انصرفت... لم أكن قد انتبهت إلى أن السيارة التي كانت أمامه قد انصرفت، توجه إلى السيارة وتحرك بها إلى الخط الأول. وجلس ينتظر..كنت في حالة إشفاق عليه أن يطول انتظاره.. ولكن من حسن الحظ لم يحدث. جاء زبون ركب في الكرسي الأمامي..ترك الباب مفتوحاً والضوء يكشف أنهما يتحدثان. دقيقة ثم أغلق الباب، وانطلقت السيارة إلى مشوار أملت ألا يطول حتى تلتقي الشفاه الأربعة في قبلة أطول.

❖

شرطي

كانت السيارات تمرق مسرعة على جانبي الطريق. ورغم مفترق الطرق، لم تكن هناك إشارة ضوئية. فقط كان رجل مرور يتدخل عند الضرورة، راقبته منذ الصباح. أظن أنه ليس هو نفسه الآن، فقد مضت عشر ساعات ـ ولا شك أن الوردية قد تغيرت. ومع ذلك ظل السلوك كما هو. لا يتدخل كثيراً. هادئ. إذا نجح أشخاص أو سيارات في العبور دون تدخله، لا يفعل شيئاً، إما إذا كان العبور صعباً ، فإنه يرفع ذراعه ليوقف سيل السيارات حتى تتوقف.

قد يستجيب السيل بسرعة وقد لا يستجيب، لكن ذراعه تظل مرفوعة حتى يتم التوقف المؤقت قبل أن يتواصل مرة أخرى. ويبقى هو هادئاً ينظر يميناً ويساراً، مراقباً الموقف وقد يصل به الهدوء أحياناً إلى حد اللامبالاة ممن لا يعبئون بوجوده ويحاولون العبور دون مساعدته وهذا ما حدث مع النساء الثلاثة.

كن سيدة في منتصف العمر، وفتاة في العشرين وعجوز في السبعين، العجوز تتوسط السيدة والفتاة. يبدون كأسرة من أم وأمها وابنتها. عبرن الجانب الأيمن من الطريق وسط سيل السيارات، دون مساعدة الشرطي، بمشقة وكان واضحاً أن الجدة في حالة إنهاك.

بمجرد عبورهن، بدا على منظرهن الانتصار. رغم أنهن لم ينجزن سوى نصف المهمة، وبقي النصف الآخر الذي بدا أصعب لأن السيدة فجأة، تركت العجوز وانتقلت إلى جانب ابنتها التي أصبحت في الوسط.

ظننت في البداية أن الأم قد تخلت عن أمها، كي تحمي ابنتها، ولكني تبينت من سرعة الانتقال أنها قد حمت أمها من السيارات القادمة من اليمين، وحين انتهت هذه المهمة، انتقلت لحماية الابنة من السيارات القادمة من اليسار.

أخذ النساء الثلاثة ينظرن بقلق إلى سيل السيارات، كان جسد الأم يتحرك يميناً ويساراً في اهتزاز أبرز أجزاءه الصلبة المتماسكة كلا على حدة.

أخيراً لاحظ الشرطي ذلك فرفع ذراعه في مواجهة السيارات التي تمهلت حتى عبرن.

بعد قليل، ترك الشرطي موقعه إلى مقر القيادة متمهلا وغاب بالداخل وانتظرت أن يعود متوقعاً أن تحدث كوارث نتيجة لغيابه لكن غيابه طال، وظلت سيولة السيارات في الاتجاهين، والبشر يعبرون دون أن تحدث أدنى مشكلة. بعد نصف ساعة عاد متمهلاً ليحتل موقعه القديم بهدوء وثقة واضعاً هذه المرة يديه خلف ظهره، ظل هكذا حتى جاءه زميله. تحدثا قليلاً، ثم ترك زميله، بدا أنه سلمه الوردية ومضى عابراً الطريق إلى الناحية الأخرى، لم يكن أحد غيره يعبر الطريق، ومع ذلك رفع ذراعه اليمنى، فتوقفت السيارات حتى وصل إلى الرصيف الآخر.

❖

صيادون

مجموعة من الرجال والشباب والأطفال، حوالي الثلاثين يلتفون حول مركب استقامت علي الشاطئ في نظام محكم، البعض يسند من الجانبين، ومن المقدمة يسحب البعض ومن المؤخرة يدفع آخرون، حتى استقامت في الماء وانسابت إلى عمق البحر.

ظننت أنها مركب صيد ستبحر ملقية بشباكها تجمع فيها ما تلقى من سمك وتعود، أو هكذا كانت فكرتي عن مراكب الصيد. لكني فوجئت بها تلقي شبكة ممتدة تغطي نصف دائرة في البحر بعمق نحو عشرين متراً، وطول نحو مائتي متر. لاحظت أن المجموعة قد اصطفت من العمق وحتى الشاطئ يسحبون الشبكة الطويلة ويلتقطون ما وقع فيها من السمك، رويداً رويداً أخذوا يضيقون نصف الدائرة- بنفس النظام حتى التقت عند نقطة صغيرة في المنتصف... فجمعوا ما وجدوا من سمك في الشبكة.

طوال الرحلة لفت نظري الأطفال، ومن بدا عليه كبير الصيادين، ومن بدا عليه المعلم الكبير.

كان الأطفال حوالي ربع العدد، لكنهم كانوا يعملون بهمة ونشاط مثلهم مثل الكبار.. وكان لبعضهم دونَ تمييز، وخاصة ذلك الطفل الذي حمله سلة يجمع فيها ما يلقونه من أسماك على

الشاطئ. يلتقطها ويضعها في السلة ويذهب بها قرب المعلم الذي كان يلبس جلبابا أنيقا ويسير على الشاطئ... يلقي الأوامر من بعيد... وينظر إلى كل سمكة تلقى إلى السلة، وأحيانا يجلس تحت ظل شمسية يستريح. أما كبير الصيادين فكان يلبس مثلهم فانلة وشورتا لكن لحيته البيضاء أعطته مظهر البحارة في السينما والروايات... كان في الستين تقريبا ولكنه يعمل باجتهاد مثل الآخرين، تماما بالإضافة إلى أنه موجّه الحركة.

كان المصطافون الذين وجدوا الشاطئ كئيباً بعض الشيء بسبب تلوث مائه قد ابتهجوا لهذا المشهد الاحتفالي للصيادين على مدى ساعتين. تابعت – مثلهم- بشغف ما يحدث...وتمنيت لو كانت معي كاميرا ديجيتال حتى احتفظ بكل لحظة وخطوة في هذا الجهد المنظم.. وتمنيت أيضاً أن يحظى هؤلاء بنصيب يكافئ جهدهم... لذلك تألمت حينما وجدت الحصيلة- في النهاية- لا تزيد عن عشرة كيلوات من السمك تقريبا. قلت إذا وزعت بالتساوي، فلن يزيد نصيب كل منهم عن ربع كيلو.

لكن لم يبد على أي من الصيادين ألم أو يأس...وإن كانوا أقل مرحا وسعادة..

أما المصطافون فقد تسلوا، وحاول بعضهم أن يدخل في المشهد، أو حتى أن يحصل على واحدة من الأسماك الصغيرة التي كانت تلقى على الشاطئ..لكن نظرة المعلم القاسية، كانت تردعهم فيرتدعون.

حاولت أن أواصل القراءة. قرأت قليلاً، ثم نزلت إلى الماء ربما انتعشت، لكن قذارته لم تشجعني علي الاستمرار، فعدت إلى الشاطئ، حملت كتابي ورحلت.



ثلاث كن ينتظرن بَرَكة الولي.أن يعترف بهن الشيخ، عضوات في طريقته. أن يَراهُنَّ جميلات وأن يحتضنهُنَّ أو يقبلهن.

رأى الشيخ أن ذلك واجب، خاصة أنهن أخلصن للطريقة وثابرن صابرات، رغم كل ما سمعن عن أفعال الشيخ، كانت تزيدهن إيلاماً وإيماناً وإصراراً.

في لحظة قرر الشيخ اصطفاء اثنتين ببركته. قبلهما واحتضنهما. مأنعتا في البداية، لكنهما أدمنتا الشوق بعد ذلك. لامس الثالثة، مجرد ملامسة، فتولهت وتاهت، وعادت فاتصلت به راجية: ابتعد عني، لا أريدك إنساناً، أريد إلهي.

❖

سِحر

كان بيتي يطل على شباك مسجد صغير يضاءٍ عند الصلوات الخمس. فيما بين الصلوات لاحظت أن شخصاً يأتي وينظرِ عبر الشباك داخل المسجد ويتحدث. كان واضحاً أن هناك شخصاً ما بالداخل.

هذا المساءِ مرت فاتنة. سامقة القامة، دقيقة ملامح الوجه، ترتدي زياً أوربياً يكشف مفاتنها وتسير على نحو لافت فاجأني وشغفني. بعد أن مرت فوجئت بشاب يطل من شباك المسجد مشدوها وهو ينظر ناحية الفتاة.

قلت في نفسي عجيب.

وقبل أن أكمل الجملة فوجئت بطفل يلعب في الشارع يقول: يا راجل، دا أنت قاعد في الجامع... ولكن الشاب بدا وكأن لم يسمع جملة الطفل، وظل ينظر باتجاه الفتاة، وكأنه مسحور.

❖

صلاة المغرب

كنت أقطن بالدور الأرضي في مدينة حديثة الإنشاء. في الشهر الأخير أقاموا - في مواجهتي - مسجداً صغيراً مؤقتاً، كان بابه من الناحية الأخرى، فكنت أرى وجوه المصلين من خلال النوافذ التي تواجهني.

من خلال النوافذ كنت أرى ستارة تؤكد لي ما علمته من أن النساء يشاركن في الصلاة... تحجبهن الستارة عن الرجال، ولكني لم أعرف وضع هذه الستارة هل هي في المنتصف بحيث يصلي النساء خلف الرجال، أم بموازاتهم.

في قريتي لم يكن النساء يصلين في المسجد، وبالتالي لم أعرف -بدقة- وضعهن داخله.

هذا المساء مع صلاة المغرب، فوجئت بوجه امرأة يطل عليَّ من شباك المسجد، فوجئت تماماً لدرجة أنني حاولت إخفاء وجهي وراء شجرة في حديقتي الصغيرة، لكن الشجرة لم تكن من الكبر، بحيث تخفي وجه المرأة. لاحظت أنها كما لو كانت مفاجأة هي الأخرى- ظلت تنظر إليَّ طويلاً... أو ربما لم تكن تدري كيف تتصرف، وهي المتوجهة إلى الله، فإذا بها تجد نفسها في مواجهة إنسان يجلس في شرفته ويضيء أمامه شمعة، ويقرأ.

أنا- أيضاً - أصابني إحساس بالذنب - وظللت مخفيـــاً وجهـــي، حتى تحركت وأغلقت الشباك.

بعد وقت، لابد أنه كان كافياً للانتهاء من الصلاة، لاحظـــت أنـها عادت لتنظر إليَّ مليا من فتحة صغيرة من النافذة، قبـــل أن تطفأ الأضواء في المسجد.



حلم

بينما كنت أبحث عن مكان أصف فيه السيارة، فاجأتني عيناها. كانت تسير مسرعة، وأنا مضطرب بحثاً عن مكان.

دققت النظر إلى عينيها الصغيرتين السوداوين الهادئتين، ودققت النظر هي أيضاً. أعرفها جيداً، لكني لا أتذكر من هي ومتى رأيتها. فيما بعد تذكرت أن هذا حدث أيضاً في المرة الأولى التي رأيتها فيها.

في المساء مع بداية النوم حلمت بها... كانت بين يدي وهربت مني، أو أن شخصاً آخر أخذها، أو أنني تخليت عنها وهربت. لم أستطع النوم طوال الليل، وتوالت الكوابيس.

بمجرد استيقاظي في الصباح تذكرت متى رأيتها ومن هي، فرحت بذلك وكان يومي جميلاً، وبقيت أنتظر لقياها من جديد. لأسعد بمشاكستها العميقة لي في اللقاءين.



وجه

يطل عليَّ وجهها، ناضجة وشهية مــا تــزال بعــد عــشر سنوات.

آنذاك كانت قريبة إليَّ، يمتزج بالأبوة عشق مكتوم، لم أكــن أستطيع التصريح به. كتبت قبل أن أغادر بصحبة مريض لا شك في موته: عُد إليَّ. ما زلت احتفظ بخطها الجميل على الورقة.

في سهرات شرفة الأوديون، وكنت أحيط أخرى بــذراعي، أشارت إليَّ و قالت وهي تدخن الشيشة: أنا في حمايته.

يوم ضرب العراق في حرب الخليج الثانية، كان لدينا موعد غامض.

التقينا وذهبنا إلى معرض الكتاب، ورفضتٍ الاشتراك فــي الندوة التي كان ينبغي الاشتراك فيها، تجولنا قليلاً فــي صــمت وحزن وتوتر.

عدنا ٍمعاً، سيراً على الأقدام إلى منزلي الذي كان ينبغي أن يكون خالياً، ولأول مرة أمسك بيدها ونحن نسير، كانــت تبــدو

متعجبة، لم أكن قد انتبهت إليها. حين دخلنا، كانت زوجتـــي قـــد عادت إلى المنزل.

الآن لم أعدٍ أراها، لكن وجهها يطل عليَّ عبر الشاشة. ناضجاً جميلاً وشهياً لا يزال، رغم أنها تزوجت وأنجبت.

❖

وعد

وعدت بالمجيء. جلست أنتظر.

بعد ساعتين اتصلت وقالت أنها لن تستطيع.

خرجت وتمشيت قليلاً ثم عدت.

كان الجو بارداً لكن الشمس ساطعة...نهايات الشتاء وبدايات الربيع.

بحثت عن مكان تحت ضوء الشمس، وجلست أقرأ في الشرفة.

كانت الشمس حانية لكن ضوءها أعشي بصري حين دخلت أرد علي التليفون. كنت أري الأشياء بألوان مغايرة.

وكان صوتها يقول أنها ستأتي في المساء.

❖

مراودة

عشرون عاماً لم تكن كافية لكي ينسي. أما هي فكانـــت قـــد نسيت. أو هكذا أدعت.

لم يكن قد حدث بينهما شيء بعد المراودة الأولـــي... فقـــط نوع من الود مشوب بوعود خفية كلما التقيا مع أصدقاء. تزوجت وأنجبت بنتاً وولداً... ثم مات زوجها في حادث مـــروع. حزنـــت عليه ثم تزوجت آخر لمدة عام واحد ثم انفصلا.

فوجئ بأنها تسكن بجواره في الحي الذي انتقل إليه حـــديثاً. أخبره صديق. اتصل بها وجاءت. تحاضنا بقوة وسعادة.

كان لديه أصدقاء، لكنها أرادت أن تنفرد به بعض الوقـــت، ولاحظ أنها أخـــذت تبتلـــع ريقهـــا بـــسرعة فـــضل أن ينـــضما للآخرين...كان لديه قلق ما من أن تتطور علاقة ما بحكم الجوار في حي هادئ.

قدم لها نصوصه الأخيرة بإهداء محايد: الجارة القريبة، مـــع الود.

أثناء الحوار قرأ عليهم بعض النصوص، لم تعلق إلا حينمـــا قرأ "مراودة" كانت منفعلة، ورافضة لصورة المرأة.

ذهبت وبقي الأصدقاء... كان يود أن يسألها عن سبب انفعالها وما إذا كانت قد تذكرت أنها هي المرأة. فعل ذلك – تلفونيا – في الصباح.

في البداية كان صوتها مرحاً مشجعاً. لكنه حين أخذ في السؤال، انقلبت إلي عدوانية حادة، اعتبرت ذلك تجاوزاً وقلة أدب.

قالت أن شيئاً مما في النص لم يحدث بينهما. ولا تتذكر شيئاً منه. قالت: أنت عرضت وأنا رفضت وانتهى الأمر.

لم يفهم. ولم يكن أمامه سوى الاعتذار وإغلاق الخط.



سليمى

حينما جاءت إلى القاهرة، كان عمرها عشر سـنوات. الآن هي في الثالثة والعشرين. التقينا بعد ذلك مرتين في بلدها، حينمـا جاءت عبرت عن رغبتها في الارتباط بي. كان رأيها أن تقيم هي في غرفة النوم، وأن تذهب زوجتي لتنام في غرفة المكتب.

في المرات التي ذهبت فيها إلى بلدها - بعد ذلك - طلبـت هدايا بسيطة.. أغاني عمرو دياب، أشياء مـن خـان الخليلـي.. وكنت أظنها طوال الوقت رغبات طفولية، قبل أن آتي هذه المرة عرفت أنها قد أنهت دراستها - وتعمل في الإذاعة - ثم خطبت.

قبل أن التقي بها وجدت نفسي فـي حالـة تـوجس وقلـق وترقب.

انتظرت في صالة الفندق بحيث أرى السيارة حين تقف عند بابه... ومع ذلك لم تأت في الموعد تماما.

عشر دقائق قبل أن أجدها تصعد سلم الفندق... كان وجههـا كما هو استدارت عناصره قليلاً وامتلأت، وطال جسمها.. فيمـا بعد اكتشفت أنه لم يستطل كثيراً.

قابلتها في منتصف السلم وانحنيت وقبلت وجنتيها.. شعرت أننا كنا بحاجة إلى حميمية أكثر...

أنا وهي... رغبة ما دفينة في أن نكون معاً وحدنا..

في منزل أبيها دار الحوار حاداً وعنيفاً ومخفياً حباً عميقاً اختفت من الجلسة فطلبت أن تأتي: فتلكأت ثم جاءت، وجلست صامتة تستمع، كنت أشعر أنها تخشى أباها ولا توافق على آرائه.

حاولت أن أشركها في الحوار.. دون جدوى..تمنت أن تقضي شهر العسل في القاهرة فابتسمت.

وصل الحوار مع أبيها إلى غايته – اختلفنا – كان لابد من الرحيل للحاق بموعد الطائرة. وجدت نفسي مدفوعاً – أمام الجميع – إلى احتضانها وتقبيلها.. في البداية تخشبت، ثم لانت واحتضنتني..

قبلت أباها وأمها وخرجت، قبل الباب الخارجي وجدتها تلحق بنا فعدت لآخذها بين أحضاني وأقبل جبينها وخديها. كانت هادئة مسترخية.. قلت لها سلمي على.. ما اسمه؟

قالت: مراد.

قلت: بلغيه تحياتي.

❖

وشم

جلسنا خلفها، وكان ظهرها لنا. كانت مع مجموعة من الشباب، وكنا مجموعة من الكهول نثرثر. لحظات قليلة ثم التفت بالصدفة... أو ربما هناكٍ ما يشد بصري دون أن انتبه. كانت بلوزتها قد انحسرت قليلاً لتترك مساحة عاريةٍ أسفل ظهرها... لوحةٍ بديعة بالخط المغربي... تأملت محاولا القراءة... ربما أيضاً ما حولها من عري أملس، كان الظهر جميلاً. ولم أستطع التوصل إلى المكتوب ولم أستطع أن أسألها، فلجأت إلى جارتي كي تسألها، فردت بابتسامة صغيرة: حرية وسلام.

❖

لوتشيا

فوجئت بها في بيتي، فصحت فرحاً وقبلتها ثم أخذني الدوار.

كانت قد اتصلت عدت مرات تسأل عن زوجتي دون أن أعرف أنها هي. ولم تتحدث معي... لا شك أنها كانت تختبر ما إذا كنت ما زلت أذكر اسمها وصوتها.

كنت قد شغفت بها في فينسيا، وهي التي لاحظت ذلك. تباعدت وتدللت ولكنها وعدت باللقاء في القاهرة.

كانت مع زوجتي وصديقة مشتركة... ترددتُ في الجلوس معهنَّ حتى نادوني. جلستِ قبالتها أحدق في جمال وجهها المنمنم الهادئ الأخاذ، لمحت جزءاً من ذراعها تحت شال يغطي بلوزة سوداء.. حين قامت رأيت البنطال الأسود "الجيل" الذي يبرز مفاتن جِيد ممشوق منساب.

عِند الوداع حرصت على أن تكون قُبلتي قريبة من شفتها، نظرتْ إليَّ نظرة ذات مغزى ثم خرجت.

أخذت أبحث كالمحموم عن رقم تليفونها في الأوراق التي توقعت أن تكون زوجتي قد كتبته فيها... فلم أجد...

لم أكن أريد سؤال زوجتي، فسوف تدرك فوراً مغزى السؤال، إن لم تكن قد أدركته دون إعلانه...

اهتديت إلى سؤال الصديقة المشتركة عن رقم التليفون. في اليوم التالي اتصلت بها في الصباح، كانت نصف نائمة وكان صوتها شهياً. قلت لها أنني سعيد بها في القاهرة وأنني أود أن أراها. بلؤم قالت: هيَّ زوجتك ما قالتلكش إن أنا هنا. قلت لا.

اتفقنا على موعد بعد ثلاثة أيام، فضلت أن يكون في وسط المدينة (بجوار بيتها!). قضيت الأيام الثلاثة قلقاً لأن الموعد كان موعد الإفطار في رمضان..

في اليوم الثاني جاءت أختي من القرية، ووجدت زوجتي تدعوها إلي الإفطار في نفس الموعد. لم أكن أملك الرفض. أشارت زوجتي إلى أنني أستطيع الخروج لو كان لدي موعد.

صباح اليوم الموعود اتصلت بها فلم أجدها. وجدت صديقة لها، طلبت منها إخبارها أن الموعد غير قائم... وفي الظهيرة عدت فاتصلت ووجدتها.. طلبت تأجيل الموعد ساعة أو ساعتين- قالت مستحيل، كان صوتها جافاً وقاطعاً.

في اليوم التالي سافرت.

❖

شتاء وصباح

كان الجو بارداً رغم الشمس

جاءت مترعة بالحيوية والشباب، رغم الشحوب البادي. قالت: قلّة نوم.

جاءت متأخرة، وظللت انتظرها... رغم أني أعلم أنني لن أستطيع تحقيق ما تريد.

كانت في العشرين، وكنت في الخمسين، كانت تعرف ذلك. ومع ذلك أصرت على المجيء.

قالت لأنها المرة الأولى التي يقبلها فيها رجل. وقالت جننتني..لكنها رفضت أن تخلع أي جزء من ملابسها.. كان جسمها يموج ويضطرب تحتها، تريد أن تواصل الأحضان وتريد أن ترحل.

بعد أن انتهي سألها.. هل قصدت إرهاقي؟ قالت: ألم تقل أنك في الخمسين؟

❖

قصة حب

قالوا إنها تحبني ولم أكن أصدق.

ذات مساء لمست صدفة ذراعها العارية فـــارتعش جـــسمها ومنذ ذلك الوقت يرتعش صوتانا كلما تحادثنا.

❖

شاب

كان يشعر بأن أمه تحبني، وأنني أحبها، ولكنه كان قد تجاوز مرحلة الارتباط بالأم. فكان يحبني هو الآخر. لكن حركة جسمه وطريقة كلامه جعلتاني لا أستطيع الحزم بأن ذلك هو السبب، فقد بدا لي أحياناً أن لديه أسباباً أخرى للحب.

❖

وحدها

كان كل شيء محكماً ودقيقاً ورقيقاً.

جاءت وحدها مع حقيبتها الصغيرة. وراءها الشاب يحمل الشمسية والكرسي. دق لها الشمسية ووضع الكرسي، وأخذ الحساب وانصرف.

كان البنطلون (الاستريتش) أسود ومحكماً حول جسدها. وأعلاه كان "التي شيرت" رماديا مغطى ببلوزة فستقية اللون، مثل لون الحقيبة تماماً. وكان الحذاء الأسود يغطي أسفل البنطلون برقبته العالية.

اليدان دقيقتان في كل منهما خاتم واحد من الفضة المنطفئة وفي اليمني أسورة من نفس النوع، الوجه صغير ودقيق الملامح. أقرب إلى البياض والشعر قصير أقرب إلى السواد يكاد يغطي الحَلق الفضي المنطفئ الذي يتدلي من أذنيها.

جلستْ هناك، أمام البحر لا تحوّل وجهها، وكنت ورآها أمام البحر، جلست لا أريم، ولا أرى منها سوى الظهر والجانب الأيمن.

بعد خمس دقائق جاء لها شاب بفنجان قهوة، شربته وأشعلت سيجارة بعود كبريت خامس ،بعد أن أطفأ الهواء أربعة.

بعد نصف ساعة قامت، أعطت ظهرها للبحر وانصرفت.

❖

رمانتان

في حديقتي شجرة رمان... أحياناً تثمر رمانـــات صـــغيرة. أنتظر نضجها، لكن في اللحظة الأخيرة أجد آخرين قد قطفوها.

في المرة الأخيرة تابعت ثمرتيها الصغيرتين بشغف وعناية. استمرتا أكثر من شهر قبل أن تنــضجا.. وذات ليلـــة زارتنـــي حبيبتي- بعد غياب طويل- قطفت واحدة وقدمتها لها. قالت: لـــم تنضج بعد... لكنها جميلة... سآخذها.

انتظرت عدة أيام حتى تلونت الثانية ببعض الحمرة فقطفتها وفتحتها لآكلها. كانت صغيرة وكذلك حباتها، كانت ما تزال نيئة. لكنها كانت مزّاً فاستطعمت نصفها، وألقيت بالنصف الباقي إلـــى أرض الحديقة. قلت تستفيد منها سماداً.

❖

انتظار

في انتظارها صففت أمامي ثلاث شمعات الأولى برتقالية مستديرة طويلة. حلمت بها في نهايات قيلولتي. أشعلتها بمجرد اليقظة ولكنها لم تستطع مقاومة الهواء.

أبقيتها. قلت ربما خف الهواء بعد قليل.

كنت ما أزال أحلم بها. أتيت بأخرى كنت قد انتهيت من صنعها، وأحب إشعالها حتى أتأكد من جودة الصنع. أسطوانية ذات ألوان عِديدة. أشعلتها فصمدت أكثر من الأولى ولكنها انطفأت أيضاً رغم أن فتيلها أقوى.

أحضرت الثالثة. حمراء قانية في زجاجة ذات فتيل أقوي. هذه واصلت الاشتعال، فأخذت أقرأ حتى موعدها.

حين جاءت أعجبتها الأولى. قالت أنها ليست برتقالية، قلت مشمشية.

أصرت علي إشِعالها، وأخذتها إلى حجرها فأضاءت نصف وجهها الذي كان قابعاً في الظلام.

❖

عابرة

مرت بهدوء أمامي، فلم انتبه إليهـــا إلا بعـــد أن عبـــرت. وصلتني لفتتها إليَّ فانتبهت. نظرت إليها فوجدتها تنظر ناحيتي.

ترتدي تي شيرت وبنطلون جينز. في يدها طفلة لا تزيد عن العامين. كنت أراها من الجانب: وجه طفولي يبدو حاد الملامـــح. حين انصرف وجهها عني لاحظت استقامة ظهرها قبل أن تكبـــر الإليتان.

عدت إلي قراءاتي وشموعي.. حتى فوجئت بها تمر ثانية ثم تعود وتتوقف أمامي معدلة من ثياب ابنتها.

كان واضحاً أنها وحيدة، وأن شموع وحـــدتي قـــد لفتتهـــا. فكرت أن أحادثها وأدعوها لشرب الشاي، لكني ترددت.

في المرة الثالثة قررت أن أنفذ ما فكرت فيه. وقبل أن أفعل ذلك. رن جرس التليفون، فاضطررت للرد عليه، وحين انتهيـــت، كانت قد مرت ... ولم تعد.

❖

مجنون

سور من أشجار الفيكس يحيط بحديقة صغيرة تعلوها بلكونة. المفترض أن تتراص الأشجار بكثافة حتى تحجب الحديقة والبلكونة ومن بداخلهما، غير أنها ليست كذلك.

من خلال الثغرات بين الشجيرات، يبدو الشخص. جالس في بلكونته على كرسي بامبو، وأمامه مائدة بلاستيكية. هكذا أراه دائماً في أغلب الليالي وفي بعض النهارات.

أحياناً يكون ممسكاً بكتاب يقرؤه، وأحياناً يكون صامتاً أو يتحدث في التليفون. لكن الغريب أنه ما من مرة مررت به ورأيته إلا وكانت شمعة ما موقده على المائدة، سواء كنا ليلاً أو نهاراً.

لا شك أنه مجنون.

هكذا تخيلت، كيف يفكر فيَّ شخص يمر في الشارع ويراني.

بذلت جهوداً لتنمية الشجيرات حتى لا يراني، هو أو غيره، لكنها لم تتم. لا شك أن جهودي لم تكن جادة بالقدر الكافي. فلو حدث، لما رأيته هو أو الآخرين... والأخريات.

أسرة

مروا. كانوا خمسة. شغلني أنهم كانوا يتأملونني بشغف. لم يكن يبدو عليهم أنهم من أهل المنطقة... ربما كانوا زواراً، أو يبحثون مسمنٍ، في هذه الحال، كنت أنا، وشرفتي وحديقتي المليئة بالورود جزءاً من تقييمهم للمكان ومن قرارهم السكني فيه أو العكس.

بعد نصف ساعة، عادوا صامتين. الأب - هكذا بدا - في المقدمة علي اليمين، بعده بخطوة الابن الكبير وعلي يساره الابن الأصغر.

خلف الأب بخطوتين كانت البنت الوحيدة. وخلفها بخطوة كانت الأم تمشي الهوينى.

اختفوا عن مجال نظري. لكني قمت، فوجدت الأم والبنت والولد الصغير قد جلسوا في الخلف، والولد الكبير يدور حول السيارة المرسيدس. ولم أر الأب.

خمنت أنه لابد جالس بجوار السائق.

بعد قليل جاء، يحمل كيساً به مشتر وات. فتح الباب الخلفي، أعطاه للأم.

ثم جلس على يمين السائق. جلس الابن الكبير خلف المقود.

وانطلق.



هما

كل صباح، في العاشرة تقريباً، أراهما خارجين، هــو فــي المقدمة وهي بعده بنحو ثلاثة أمتار. يسيران ببطء وهدوء. بــدوا لي كئيبين.

هو أطول منها قليلاً. يرتديان... دائمــاً ملابــس محتــشمة عادية.

يتوجه إلى الباب الأيمن للسيارة، يفتحه ويركب وتتوجه إلى الباب الأيسر وتجلس أمام المقود وتقود.

بعد قليل تعود وحدها بالسيارة.

ولا أراها إلا نحو الخامسة، وهي عائدة به.

هذا المساء. فوجئت بهما معاً في الثامنــة. كانــا عائــدين بالسيارة، وحينما نزلا رأيا شخصاً، بدا لي قريباً لهما أو صديق.

وقفوا ثلاثتهم في الشارع يتحدثون.كان واضحاً أن الشخص قد "أنجب" حديثاً... ظلوا ساعة يتحدثون عن مــشكلات الــولادة،

المواليد الجدد... كانا واضحاً أنهما قد مـــرا بتجربـــة الإنجـــاب، ولكني لم أر مولدهما أبداً.

بعد شهرين كنت أراهما في نفس المواعيد ومعهما طفل

مغطى بإحكام.

❖

قهوة أخرى

توجهت إلى المطبخ لأعد القهوة الثانية، من خلال الشباك لاحظت خروج الزوجين، واحد، ثم الآخر. تهيأت حواسي لاحتمال رؤية الزوجتين ركب الزوج الأول سيارته. رآه الثاني فسلم عليه وركب هو الآخر سيارته المجاورة. انطلق الأول دون زوجته. أدار الثاني السيارة وظل وقتاً حتى تسخن.

كانت عيناي تتردد بقلق بين كنكة القهوة على النار وبين الشارع.. أخيراً انطلق الزوج الثاني دون زوجته.

عدت لمراقبة الكنكة، لكن بقدر من السعادة.

قلت: الآن يمكن للزوجتين الجميلتين أن تخرج كل منهما وحدها. تمنيت أن تنضج القهوة بسرعة حتى أحملها إلى البلكونة وأستطيع تأملهما بحرية وهما تتهاديان كل منهن على حدة. وربما حيتني كل منهما بالإيماء ــ أو بالكلام.

❖

وحدة

كنت أرغب في أن أكون وحيداً.. فلجأت إلى ركني الهادئ ومكثت أفكر. لم تكن لدي رغبة في العمل. فجلست في البلكونة في ضوء شمعةٍ أراقب العابرين. كانوا كثيرين في تلك الليلة. لم يعد ركني هادئاً... امتلأت العمارة- تقريباً- بسكانها الزائرين والمقيمين.

عند منتصف الليل. وقفت سيارة شيفرولية سوداء ضخمة أمام الباب مباشرة. نزل منها اثنان تبينت من أصواتهما أنهما شاب وفتاة، فتح الباب الخلفي ونزلت منه بصعوبة سيدة سمينة في منتصف العقد الخامس تقريباً.

اجتهدت لكي أرى الفتاة ونجحت. كانت قمحية اللون ممشوقة القوام ترتدي فستاناً يغطى كل جسمها، ماعدا ذراعيها ونحرها، من التيل الأبيض. كانت جميلة. كان معهم كلب صغير أبيض اللون. جرى وانتظروه حتى عاد ثم صعدوا.

خرجت أدور حول العمارة. لاحظت ضوءهم يشع من الدور الرابع..

حين عدت كانت الفتاة أمام السيارة تأخذ أشياء ومعها شابة أخرى ترتدي فستاناً أزرق فاتح من التيل أيضاً، ويكشف ذراعيها

ونحرها. كانت أقصر من الأخرى. لم أستطع في الليل تبين ملامح الوجه جيداً، فظننت أنها أختها... وكانت أيضاً جميلة ورشيقة. تمنيت لو أن إحداهما أتت لتحرمني وحدتي، وخاصة الطويلة.

في الصباح استيقظت لأجد السيارة، وخلفها سيارة أخرى سوداء هيونداي، لم أكن قد رأيتها في الليل. انتظرت – بشوق – خروجهم.

جلست أعمل حتى الظهيرة أنهيت العمل الذي كنت أحب الانتهاء منه لأخلو لنفسي.. ولهم، فظهروا جميعاً. ظهرت أولاً القصيرة ترتدي فستاناً أحَمَّر بدا لي من الحرير بنفس مواصفات فستان الأمس، ومعها السيدة ترتدي نفس فستان الأمس المنقط بالأسود على أرضية بيج. مرَّا أمامي فتعرفت جيداً على ملامح الوجهين، كانت السيدة مستديرة الوجه يميل إلى البياض بينما تميل وجه الفتاة إلى الاستطالة والتقاطيع الحادة مع اتساع لم يعجبني في الفم.

بعد ذلك ظهر الآخرون: شابان والفتاة الطويلة. كانت أكثر امتشاقاً بسبب الزهور التي انتشرت على فستانها الفضي والذي يكشف النحر والذراعين وما تحت الإبط إذا رفعت ذراعاً. كان وجهها منمنم التقاطيع في اتساق أكثر من الأخرى.

كانوا يستعدون للرحيل إلى الإسكندرية كما فهمت من لوحات السيارتين، ومن حديثهم عن رحلة تفوق الساعتين.

جلست أراقب حركتهم التي امتدت نحو الربع ساعة تعرفت خلالها على معظم أسمائهم، محاولاً أن أبدي انشغالي عنهم..في الحقيقة كنت أتمنى أن تنظر إليَّ الطويلة أو تلقي عليَّ تحية ما.

لِكنها لم تفعل... الأخرى هي التي وقفت ونظرت إليَّ طويلاً، بنوع من الاندهاش... أو ربما الشغف..

عندما أخذت السيارة في الحركة كانت القصيرة دينا وأحمد مع أم أحدهما في السيارة الشيفرولية، بينما كانت غادتي مع زوجها الذي لم أستطع معرفة اسمه.



إجازة

منذ سنوات طويلة.. لم يحدث أن حصلت على إجازة مثـــل هذه.

سافرت زوجتي لتستمتع بحفيدها وتهتم به.. كانت من أطول فترات سفرها. جاء السفر في وقت قـــاس بالنـــسبة لـــي: قلـــق ومريض.

حاولت أن انتهي من الضروري من الأعمال وألتحق بـــأي رحلة منظمة تعفيني من إعداد الطعام أو تسخينه ومن الوحدة.

لم تعد أخواتي متفرغات لي كما كن قبلاً.

في البلد يهتمون بي مع قدر من الإشفاق يحرمني وحـــدتي وكرامتي.

انتهيت من كل أعمالي ووجدت نفسي فارغـــاً تمامـــاً لأول مرة منذ سنوات من الأعمال الضرورية، وكان أمامي خمسة أيام وثلاثة خيارات: "البلد" أو "الطور" حيث صديقي الـــذي يـــدعوني لزيارتها. و"شقتي الجديدة".

بعد تفكير، اخترت الحل الثالث.

مساء الثلاثاء حملت كل ما أحتاج إليه من طعام وشراب وكتب، ومن صباح الأربعاء، اتبعت نظاماً لم اختره، فرض نفسه عليَّ:

استيقظ في التاسعة أو التاسعة والنصف، أخرج من السرير. أدخن سيجارة في الصالة، قد أحتسي ملعقة من العسل قبلها. أشرب ماء.

قد أشرب الشاي، قبل الاغتسال أو بعده، في الصالة مع الأخبار، أو في البلكونة مع الورود والخضرة والبشر الذين يمرون أمامي.

بعد الشاي أذهب إلى الحمام بحريتي كي أعالج مشاكل القولون الذي أصابني أخيراً. أحرص على وجود صحف بجوار القاعدة.

إذا نجحت تجربة الحمام، أصنع فنجان القهوة وأجلس إلى المكتب. وإذا لم تنجح أخرج لجولة قصيرة حول البيت، وأعود إلى القهوة.

أقضي الصباح حتى الواحدة على المكتب، بعد الواحدة أجلس إلى القراءة حتى يحين موعد الغذاء، حسب طلب المعدة بين الثالثة والرابعة.

كنت قد حملت معي أربعة أسماك بأرزها، كفتني الأيام الثلاثة الأولى.

قبل الطعام بنصف ساعة أتناول أدوية القولون والكلية. أخرج الطعام من الثلاجة. أغرف ما أحتاجه وأعيد الباقي إليها.

قبل الجوع بعشر دقائق أضع الطبق الذي أعددتــه فــي الفــرن، وأواصل قراءتي.

آكل طبقي وأنام حتى السادسة.

أستيقظ وحدي كما في الصباح.

أدخن السيجارة أو ألجأ مباشرة إلى المشي أو الحمام، حسب الحالة.

في نهاية الشاي أنزل إلى الحديقــة لأســقيها. مــع لحظــة الغروب تكون تمشية المساء، قبل القهوة أو بعدها. لحظات يمكن أثناءها أن أكون قد أوقدت شمعات ثلاثــة، واحــدة أمــامي فــي البلكونة، والثانية فوق المكتب والثالثة على البار الذي يفصل بين الصالة والمطبخ.

أواصل القراءة حتى أتعب، وأثناءها أهتم بشموعي، وخاصة تلك التي صنعتها حديثاً ، تحتاج إلى زيادة فتيل، استكمال شــمع خام، إزالة فضلات.

حول الحادية عشرة انتقل إلى الصالة هناك الكنبة مريحــة، بعد تناول أي قدر من الطعام يحتاج القولون لأن يكون الجسم في وضع أقرب إلى الاستقامة مــسترخياً. حتــى تخــرج ريــاحي بحريتها... أستمع إلى البرنامج الموسيقي وأواصــل القــراءة أو أتحدث في التليفون وأرى الأخبار المعتادة حتى الواحدة أنام.

❖

قنا

في الصباح وضعت في الحقيبة الأشياء الأخيرة: شمعة وولاعة احتياطية ومسبحة. حملت الحقيبة وخرجت.

في بوفيه المحطة جلست أحتسي القهوة وأفكر لماذا أنا هكذا مكتئب وحزين؟

لا ينقصك شيء، ولكن الحياة ليسٍ لها معنى... تتابع حركة البشر على الرصيف، فلا تجد فيها جديدا.

ربما فقط الصمت الزائد عن المعهود في محطات القطار.

انتبهت من تفكيري على حركة تشد السبحة من يدي أسفل الكرسي.. كانت قطة تداعبني فاضطررت للابتسام. قلت: ها هو شيء يستحق الابتسام.

وقلت هل يمكن أن تزداد إلى أكثر من ابتسامة واحدة؟

استجبت للقطة، أضربها بخفةٍ على وجهها ورجلها المتشبثة بحافة الكرسي. استمرت تلعب قليلاً ثم انسحبت. يبدو أنني لم أكن متحمساً لها بالقدر الكافي... وربما كانت هي أيضاً تعيش نفس حالة الملل التي أعيشها.

جاء القطار فبحثت عن عربة ٩، وكانت بعيدة ولكن القطار انتظرني حتى وجدتها...

ثم بحثت عن كرسي رقم ٩ فوجدته خالياً فجلست، ولكنـــي بعد لحظة انتبهت إلى أنني ينبغي أن أبحث عن كرسي ٤١ وليس ٩.

فقمت، وبحثت عنه، فوجدت عليه طفلة تلعب، ولما رأتنـــي استقامت على الكرسي المجاور وجلست... قلت لها سأحرمك من اللعب!!

أجاب أبوها من الصف الآخر ضاحكاً، ولا يهمك. الكراسي كثير.

نظرت خلفي فوجدت فعلاً عدداً كبيراً من الكراسي الخالية. فقمت وانتقلت إلى آخر العربة. كنت قد فعلت ذلك حتى أخلو إلى نفسي قليلاً.. لكن يبدو أن الطفلة تـصورت أننـــي أخليـــت لهـــا الكرسي لتلعب، فبعد حين وجدتها تنظر إليَّ بحب تكـــاد تبتـــسم. ابتسمت لها فابتسمت.

استقر بي الحال، وبدأت أفكر كيف سأعيش يومي...

ثماني ساعات بين جدران هذا القطار، الذي فـضلته علـــى قطار الليل..

قلت سأقرأ وأتأمل، وإن أمكن سأكتب.. فكرت في الغذاء. لم أحمل معي ساندويتشات من البيت، ولـــم تعجبنـــي ساندويتـــشات البوفيه جاءت عربة بوفيه القطار وجدت بها وجبة خفيفة.

طبق فيبر مستدير ومغلف بالبلاستيك به ثلاث ساندويتـــشات صغيرة فراخ بانيه وروزبيف وجبنة رومي وشيبسي.. اشـــتريتها

بعشرة جنيهات. وضعتها على الكرسي المجاور لي. بدت مكشوفة للآخرين. فقمت وأنزلت حقيبتي من على الرف ووضعتها على الكرسي حائلاً بين الوجبة والناظرين، وأخرجت منها كتاباً ووضعته فوقها أيضاً.

وأخرجت كتاباً آخر، وبدأت أقرأ.

بعد وقت خرجت إلى المسافة الفاصلة بين العربتين أدخن سيجارة...

فالتدخين ممنوع داخل العربة...

كانت نفسي قد راودتني على التدخين بها... فالناس قلة وتبدو عليهم الطيبة ولن يعترضوا... لكني – في النهاية – أذعنت للقانون.

أمام عيني تتوالى الحقول الخضراء والبيوت التي لم تعد طينية، والسيارات تنطلق مسرعة. لاحظت أننا أصبحنا في البدرشين... بعدها بقليل مررنا بالطريق إلى قرية السعودية ..آخر مرة زرتها كانت منذ ستة أشهر، قبل أن يموت صديقي عبد المنعم السعودي.

الأشياء– بالخارج – كما هي لا شيء تغير جذرياً.

وصلنا إلي بني سويف...تعجبت كيف وصلنا بهذه السرعة... أتيت إليها كثيراً. هل هو نفس القطار الذي كنت أركبه؟ ربما ليس هو...لكنه بلا شك كان أسرع... أنا الذي أعيش حالة مختلفة.. فرحلتي ما زالت طويلة إلى قنا، وبني سويف ليست سوى أول محطة يقف فيها القطار.. وسوف يواصل.

صعد بعض الركاب... خشيت أن يطلبوا مني إخلاء الكرسي لكنهم لم يفعلوا، واستمروا إلى العربة التالية. سعدت وقلت لن يهددني أحد فلا أظن أنه سيركب آخرون بعد ذلك...

كان الركاب كلهم من أهل الصعيد. بدوت أمام نفسي في البداية غريبا أو متميزا... لكني بعد وقت اكتشفت أنهم مثلي- حينما أكون في قريتي، يلبسون كما ألبس ويتصرفون كما أتصرف...

كانوا يتصرفون- في القطار- كما لو كانوا في بيوتهم... يتعارفون يتحدثون بصوت عالٍ... لكنهم مثلي؛ كانوا يخرجون للتدخين.

معظمهم يلبس الجلابيات. إمَّا الصعيدية أو الإفرنجية (بياقة) وبعضهم يلف عمامته والآخر عاري الرأس.

عند وصولي استقبلني صديقان بسيارة. وذهبنا إلي الفندق، فندق صغير وفقير، وقالوا أنه أفضل الفنادق في قنا. على كل حال كان نظيفاً ويطل على ميدان واسع وجميل ونظيف...هذه سمة جديدة في قنا.

اصطحباني بإصرار للعشاء، للعشاء في منطقة ريفية خارج المدينة، كنت مجهدا ولكني استجبت لإصرارهما الدافئ..

لم نبق كثيراً وعدنا لأنام.. لم أنم جيداً لأن صوت مكيف الهواء كان عاليا، فكنت استيقظ لإغلاقه كل فترة، وأخيرا أفقت تماما في الثامنة.

لم يكن في الفندق طعام فطلبت منهم أن يحضروا لي ساندويتشا من الخارج. أكلت قطعه منه وشربت الشاي في

البلكونة المطلة على الميدان. لاحظت السيدة التي سهرت طويلاً بالأمس في بلكونتها بشعر مكشوف، وذراعين عاريين، والآن كانت محتشمة بالإيشارب، تنشر الغسيل على الحبال المعلقة بالبلكونة، لاحظت الدقة التي كانت ترتب بها الملابس على الحبال. ملابس الرجال في الخارج ووراءها ملابس النساء وخاصة الملابس الداخلية التي حرصت على إخفائها تماماً.

ظلت هذه الملابس كما هي حتى غادرت.

بعد الإفطار نزلت فوجدتهم ينتظرونني. لنذهب إلى معبد دندره.

معبد مهم يجسد مرحلة الإلهة حتحور ربة الحب والسعادة، مليء بلوحات الطقوس والعادات، والعقائد. لفتتني بصفة خاصة اللوحة التي ترسم الإلهة وهي تسيطر على الكون وتلقم الشمس بفمها فيعم الظلام ثم تخرجه من بين رجليها فينطلق الضوء.

بعد المعبد ذهبنا لزيارة "فاخورة" وشاهدنا مراحل تصنيع الفخار بدءاً من صنع الطينة من الحجر الطفلي حتى حرقه. كان العمال مصريين قدماء... وكان رفاقي فخورين بهم، وكذلك كنت أنا.

في المساء أنهيت عملي وعدت إلى الفندق. أوقدت شمعتي وأخذت أقرأ حتى غلبني النوم.

في الصباح طلبت لنفسي ساندويتش الطعمية والشاي. تناولتهما وحملت حقيبتي، وتوجهت إلى محطة القطار.

❖

ملامح

لن تتاح لك معرفة البشر إلا حين تراهم وهم نائمون أو موتي.

من ملامحهم ونوعية تقلصات عضلات وجوههم، إلى وضع الشفتين خاصة تستطيع أن تدرك حجم العذاب، أو الراحة الذي كانوا عليه قبل أن يغمضوا أعينهم.

في المستشفيات وفي قطارات النوم والطائرات، تمتلك هذه الفرص النادرة.

كانت جميلة و شقية..

هكذا وجدتها كلما مررت أمامها أو تأملتها من خلف زجاج باب عربة القطار.

كانت وذكرها يجلسان على أقرب كرسيين من باب العربة الذي يؤدي إلى دورة المياه.

عللت نفسي بالذهاب إلى دورة المياه، كي أراها كثيراً.

دقيقة الملامح، إيشارب أحمر يضفي إشارة على وجهها المائل للبياض (في قطار الصعيد)..

تتحرك بحرية وتلقائية..

حينما لا يكونان في حالة مناجاة أو كلام... كانت تنظر حالمة إلى السقف في استرخاء.

نمت واستيقظت في الثالثة صباحاً.. في طريقي إلى الحمام وجدتهما ما يزالان يقظين على حالهما... لم استطع العودة إلى النوم..بعدها بساعة عدت إلى الحمام.. كانا قد ناما..

كانت ملامحها مسترخية تماماً وجهها مغطى بملاءة. لم تنجح في إخفاء انفراج الساقين.

قبل أن أنزل في محطتي حرصت على رؤيتها للمرة الأخيرة... كان جميع الركاب نائمين... كانت لدي الفرصة لأنظر إليها ملياً وبتركيز..هذه المرة لاحظت أن اللون المائل إلى البياض ليس إلا بفعل المكياج... وكانت شفتاها مفترتان قليلا. يبدو أنها أحست بنظراتي تقتحمها فتململت وفتحت عينها. وبدا لي أنها لمحتني. لا شك أنها كانت قد لاحظتني قبل ذلك. أحسست بالخجل فخفضت بصري، عدلت وضعها على الكرسي يساراً، ثم يميناً، ثم عادت لتستقر في وضعها الأول..

فعدت إلى كرسيَّ.. حملت حقيبتي وتوجهت نحو باب النزول.

❖

الفهرست

القطار ٧
خمسة عشر عاما ١٢
طرق متقاطعة ١٤
صلوات ١٦
معاش ١٧
عزاء ١٩
أموات ٢١
فانوس رمضان ٢٨
أول يوم في رمضان ٣٢
كامل ٣٤
أدهم ٣٦
دراجة ٣٧
أسود وأبيض ٣٨
شواطئ ٣٩
قمامة ٤١
مكابدة ٤٣
سائق ٤٥
شرطي ٤٦
صيادون ٤٨
ولي ٥٠
سحر ٥١
صلاة المغرب ٥٢
حلم ٥٤

وجه ٥٥
وعد ٥٧
مراودة ٥٨
سليمى ٦٠
وشم ٦٢
لوتشيا ٦٣
شتاء وصباح ٦٥
قصة حب ٦٦
شاب ٦٧
وحدها ٦٨
رمانتان ٧٠
انتظار ٧١
عابرة ٧٢
مجنون ٧٣
أسرة ٧٤
هما ٧٦
قهوة أخرى ٧٨
وحدة ٧٩
إجازة ٨٢
قنا ٨٥
ملامح ٩٠

❖

